

نساء قيادات مسارات التغيير





non discrimination
Autonomisation
Amélioration
égalité
المساواة
Leadership
Transformatif
التغييرية
Changeement
التمكين
Participation
التغيير
égalité
Femmes dans les postes de décision
الريادة
Femmes = Hommes

المساواة
non discrimination
Autonomisation
Amélioration
égalité
Leadership
Transformatif
القيادة التغييرية
Changeement
التمكين
Participation
التغيير
égalité
Femmes dans les postes de décision
الريادة

نساء قيادات مسارات التغيير

مشروع

تمكين المرأة لأدوار الريادة
في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا

نساء قيادات مسارات التغيير

مشروع

تمكين المرأة لأدوار الريادة
في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا

صادر عن
مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث - كوثر

النسخة الصادرة سنة 2021

جميع الحقوق محفوظة
مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث - كوثر



العنوان
ص.ب 105 حي الخضراء - تونس
الجمهورية التونسية

الهاتف : + 216 71 790 511

الفاكس : + 216 71 780 002

cawtar@cawtar.org

www.cawtar.org

<http://www.cawtarclearinghouse.org>

فريق العمل

المديرة التنفيذية : د. سكينه بوراوي

منسقة المشروع : مريم الجربي

فريق التحرير

- **لبنى النجار**
- **اعتدال مجبري**
- **سهير الشعباني**



9 مقدمة

11 نساء قياديات من المغرب

12 • حنان حميدان

14 • خديجة الإدريسي

16 • خديجة اروبيعة

18 • لطيفة بومزوغ

20 • منية رازي

22 • رحمة رقيق

24 • فتيحة إدموليد

27 نساء قياديات من تونس

28 • أحلام سليم

30 • بشيرة حلواني

32 • بسملة أم الزين

34 • فاطمة الصامت

- 36 • قمرۃ النایلی
- 38 • جازية الديناري
- 40 • صوفية الزناتي
- 43 **نساء قيادات من الأردن**
- 44 • سهام التعمري
- 46 • الحاجة ختمة الطراونة
- 48 • انتصار حرب
- 50 • رغدة الزوايدة
- 52 • فضیة جمعة المعایعة
- 54 • الشیخة أم مازن



non discrimination

Autonomisation

Amélioration

المساواة

égalité

Leadership

Transformatif

Changement

التمكين

Participation

التغيير

égalité

Femmes dans les postes de décision

الريادة

non discrimination

Autonomisation

Amélioration

المساواة

égalité

Leadership

Transformatif

Changement

التمكين

Participation

التغيير

égalité

Femmes dans les postes de décision

الريادة

Femmes = Hommes

مقدمة

في دراسة سابقة له حول «مشاركة النساء في الحياة العامة والسياسية» صادرة في عام 2019 كشف مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث «كوثر» عن وجود نماذج نسائية قيادية عربية هامة ساهمن في الحركات الوطنية وبناء الدولة وخلال مختلف المحطات التاريخية الهامة وفي مختلف المجالات، أسقطت من الذاكرة الجماعية ومن الكتابات المختصة. وحتى النماذج النسائية القيادية المعاصرة، ما تزال تحتاج إلى مزيد تسليط الضوء عليهنّ وتوثيق مساراتهنّ والتعريف بهنّ كقيادات، تميّزن بسعيهنّ إلى تغيير واقع النساء وأوضاعهنّ بوجه خاص وواقع مجتمعاتهنّ المحليّة بوجه عام.

وفي هذا الإصدار، الذي تم إعداده في إطار مشروع «تمكين المرأة من أدوار الريادة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا» الذي ينفذه مركز «كوثر» ومنتدى الفيدراليات الكندي بدعم من الحكومة الكندية، عشرين ملمحا «بورتريه» لنساء قيادات على الصعيد المحلي في المغرب وتونس والأردن، يعملن بعيدا عن أضواء الإعلام، وبرزن في محيطهنّ المجتمعي أو المؤسسي بفضل التزامهنّ وإخلاصهنّ في العمل وإيمانهنّ بالمبادئ الإنسانية التي استنرن بها من أجل إحداث التغيير. فكنّ مؤثرات وفاعلات في مجالات متعددة ومتنوعة (العمل الجمعياتي، العمل الخيري، الصناعات الحرفية، التربية والفنون...) منهن من نجحن وإن بتفاوت في إحداث التغيير في مجتمعاتهنّ، وأخريات مازلن يحاولن التحرّر من قيود الهيمنة، واستثمار ما توفر لهن من رأسمال ثقافي ورمزي واقتصادي... من أجل مستقبل أفضل للأفراد والمجتمعات.

مسارات هؤلاء النساء تختلف بحسب السياقات ومجالات العمل والتدخل، لكنها تلتقي في التأثير في المحيط المحلي أوّلا ثم الوطني ثانيا، وفي التحليّ بصفات القيادة والمبادرة، وبالتجذّر في الأرض وتأمين العمل والشعور بالمسؤولية والإيثار. كما يظلّ القاسم المشترك بينهن هو عملهن على تعبئة الموارد المتوفرة في إطار مشاريع وأنشطة تكون فيها المجموعة هي الشريك وهي الفئة المستهدفة، ما يجعل هذه الأخيرة تمنحها صفة «المرأة القائدة» أو «المرأة القيادية».

الإصدار رحلة بين سير متنوعة وثريّة، ومحاولة لتوثيق تجارب غير تقليدية في التأثير والقيادة، واعتراف بجهود نساء عاديّات لكنهن ملهّمت، وبرهان على أن القدرة على الفعل والتغيير لا ترتبط ضرورة بمواقع القرار وبأروقة الحكم، بل أن التغيير المجتمعي الحقيقي تسهم في تحقيقه مبادرات محلية لا بد من البحث عنها وتأمينها والتشجيع على النسج على منوالها، حتى تكون سيرهنّ مصدر إلهام لنساء أخريات، وحتى يكون التغيير مؤسسا لقيم المساواة والعدالة والإنصاف.



المساواة
égalité
non discrimination
Autonomisation
Amélioration
Leadership
Transformatif
التمكين
التغيير
Participation
Femmes dans les postes de décision
الريادة
Femmes = Hommes

المساواة
égalité
non discrimination
Autonomisation
Amélioration
Leadership
Transformatif
التمكين
التغيير
Participation
Femmes dans les postes de décision
الريادة
القياادة التغييرية

نساء قيادات من المغرب



أراهن على التضامن فيما بين النساء... والقيادة فعل وتغيير



حنان حميدان

تنحدر حنان ذات الأربع والثلاثين عاما من قرية تبعد حوالي الخمس كيلومترات من مدينة «تحنات» التي تعتبر عاصمة إقليم الحوز في المغرب، بالقرب من مدينة مراكش. انقطعت عن الدراسة عند السنة الرابعة ابتدائيا وانجذبت إلى المهن الحرفية وكانت مولعة بها على غرار الخياطة والتطريز وخاصة اللباس التقليدي المغربي. تلقت تدريباً في هذا المجال وسرعان ما أسست تعاونية تضم اليوم خمس وعشرين امرأة حرفية في مجال حياكة الزرابي والتطريز. فكانت المرأة الأولى في منطقتها التي تقدم على مثل هذا المشروع لريادة الأعمال النسائية لتحوز بذلك لقب «اللبوة» كما يناديها جيرانها وأصدقائها.

من عمق الريف المغربي، نحتت حنان «المثابرة» شخصيتها، ورسمت طريقها، وها هي تشعر أنها تتقدم وتتطور يوما بعد يوم. فلم تعد تلك الفتاة الخجولة كما كانت في السابق، وترى أنها اليوم تتمتع بالجرأة والشجاعة وبقدرة عالية على التحدث مع المسؤولين. يقودها الطموح دائما نحو العمل الإنساني النبيل، ويشغلها البحث عن كل ما هو جديد ومختلف.

العمل الجمعياتي قاطرة للتأثير والتغيير

استلهمت عديد المبادئ والخصال كاحترام الذات الانسانية والمثابرة من الناشطة الحقوقية والاجتماعية المغربية عائشة الشنا مؤسسة «جمعية التضامن النسوي» التي تعمل في مجال مساعدة النساء العازيات وضحايا الاغتصاب. استنادا إلى هذه المبادئ تحرص حنان على احترام قيم بيئتها المجتمعية، وتعتبر ذلك شرطا كي تحظى بدورها بالاحترام والتقدير. تقول «أتعامل وفقا لشعوري بأنني أقف على قدم المساواة مع الآخرين، وعلى كل فتاة تنخرط في التعاونية أن تحترم هذا المبدأ». وهي ترى في العمل الجمعياتي فرصة لتوفر الظروف الملائمة للتأثير والتغيير ولنسج العلاقات وللتشبع بالقيم الإنسانية الأصيلة كالإيثار والصبر ودمائة الأخلاق.



القدرة على تغيير كل ما هو سلبي إلى إيجابي

واجهت حنان عائقا آخر يتمثل في هشاشة البنية التحتية في منطقتها، فالتطرق المؤدية إلى قريتها في حالة سيئة وهي غير معبّدة، ما يحول دون وصول المستثمرين والحرفاء من خارج المنطقة إليها، رغم ظهورها في وسائل الإعلام أكثر من مرة، إذ كان نشاطها محور مواكبة واهتمام الإعلام المغربي. تقول «أحرص دائما على التواصل مع وسائل الإعلام، وبفضل جهودي على هذا الصعيد أصبحت منطقتي معروفة بشكل أفضل، وأكثر من ذلك، جلب لنا ذلك مشاريع جديدة، وتحسّنت الطرقات إلى حد ما وتوفرت خدمات الكهرباء والماء على نطاق أوسع، ووجدت مساعدة لتنمية المنطقة من السلط المحلية».

التغيير الذي أسهمت حنان في إحداثه هو ثمرة عمل متواصل وخبرة تراكمت على مدى سنوات في الإشراف والتسيير وحسن إدارة الضغوط والمشاكل والظروف اليومية. والقائد من وجهة نظرها هو من ينجح في تحقيق كل ذلك، فالقيادة كما تعبّر عنها «مسؤولية جسيمة تتطلب جملة من المهارات أهمّها المرونة والقدرة على التواصل مع الآخرين وعلى الفعل والتأقلم مع الظروف وعلى تغيير كل ما هو سلبي».

لا تخفي حنان فخرها بما حققته حتى اليوم، فصاحبة «الشخصية الإيجابية» لم تجتهد في التعريف بالمنتوج التقليدي المغربي فحسب، بل وفي جعل النساء الريفيات فاعلات ومنتجات ومستقلات اقتصاديا. وهي تقر بأن ما نجحت في تغييره لم يكن هيّنا في مجتمع قروي محافظ وفي إعادة إنتاج التقسيم التقليدي للأدوار بين النساء والرجال. وهي تقر بكل ثقة أنّ أمام النساء الريفيات في المغرب فرصا للفعل والعمل والنجاح أكثر مما يوجد من تحديات وصعوبات.

تري نفسها «محظوظة بحب الجميع لها». كيف لا وهي التي تكرس كل وقتها لأبناء قريتها لاسيما النساء والأطفال. فقد اختارت مدّ يد العون للنساء، وتقديم دروس للأطفال في مرحلة ما قبل الدراسة بصفة طوعية. تقول «لدي وعي ودراية بأوضاع النساء في الريف، وأشعر بسعادة لا توصف عندما أساهم في العمل الخيري لمساعدة المهمّشين والمحرومين في القرى، أو عندما أشجع فتيات ريفيات على التعلم والاستقلالية وعلى عدم التسرّع في الزواج والإنجاب. فهذا حتما يدفع نحو تنمية منطقتي ويسهم أيضا في إعلاء قيم التضامن والتكاتف بين الناس».

تأسيس التعاونية لم يكن بالأمر السهل والهيّن بالنسبة إليها، والأسباب متعددة. فالمشروع لم يحظ بتشجيع الرجال الذين قالوا عنه إنه «سوف يفتح أعين النساء الريفيات» وهو ما جعلها تراهن على تضامن النساء فيما بينهن حتى ينجح المشروع. ولئن نجحت في ترسيخ قيمة التضامن بين هؤلاء النسوة، إلا أنها وجدت صعوبة في إيجاد مقر للتعاونية. فنجحت في إقناع والدها ببناء طابق في منزلهم اتخذته مقرا، لكنه اليوم لم يعد يتسع لعدد النساء الراغبات في الانخراط في التعاونية، ما جعلها تواجه صعوبة في قبول انخراط نساء أخريات خاصة في ظل افتقارها إلى الموارد المالية التي تمكنها من القيام بأشغال التوسعة اللازمة لرفع عدد المستفيدات وهن كثيرات.



خديجة الإدريسي

مناهضة العنف والتمييز طريق نحو الكونية

هي سليلة عائلة عريقة معروفة بالعلم والمعرفة، أفرادها من حفظة القرآن ودارسي الفقه. ترعرعت خديجة الإدريسي في مدينة ابن جرير الواقعة شمال مراكش، في عائلة متعلمة، تقدر العلم وطالبه. تأثرت بجدها التي ورثت عنها قوة الشخصية وحب العلم. والدها كان أيضا مؤمنا بضرورة تعليم الفتيات، فكان يقول «بفضل العلم، نستطيع حل كل المشاكل وتجاوز جميع الصعوبات».

هي اليوم رئيسة جمعية شروق لإدماج النساء في وضعية صعبة، محامية وناشطة جمعياتية من الصف الأول، تنتمي إلى جمعيات عديدة تعمل في مجالات: مناهضة العنف ضد النساء، الدفاع عن حقوق الإنسان، مساعدة التلميذات اللاتي يواجهن صعوبات في الدراسة، الاستشارات القانونية، مكافحة الإدمان في صفوف الشباب، المحافظة على البيئة وغيرها من الأنشطة التي جعلتها امرأة ميدان بامتياز!

القانون في خدمة النساء المضطهدات

تؤمن بأن العمل الجمعياتي هو عمل جماعي بالأساس، «لا يتوقف على نجاح شخص فقط، بل يتطلب الحشد والتعبئة من أجل بلوغ الأهداف المرسومة». لا تستسيغ التراتبية في هذا المجال، وتسعى إلى أن تكون أنموذجا لدى الفتيات والشابات حتى ينجحن في حياتهن. وقد لمست التأثير الذي أحدثته في شابات كثيرات اخترن التخصص في مجال الحقوق أسوة بها.

داخل أسوار الجامعة، تفتحت عينا خديجة وصقل وعيها على العمل النضالي، فانخرطت في الجمعية الفيدرالية لحقوق النساء، أين تعرّفت على مختلف مجالات التدخل لفائدة النساء واكتشفت معنى حب الآخرين وأهمية مدّ العون لمن تحتاج لاسيما النساء المضطهدات. وقد كان اختيارها لتخصص القانون نابعا من رغبتها في مساعدة الآخرين، لا من أجل كسب المال كما يعتقد البعض.

لدى خديجة علاقات جيدة مع النساء والرجال الذين تعمل معهم، فهي لا تتقاسم معهم العمل الجماعي فحسب، بل مجمل المبادئ والقيم التي تؤمن بها لأن العمل الجماعي من وجهة نظرها، لا يمكن أن يكون مجالا للصراع والخلاف، بل هو مجال للتوافق وللعمل المشترك من أجل المحافظة على كرامة الذات الإنسانية والدفاع عن الحقوق. تقول: «يمكننا أن نختلف طبعاً لكن لا يجب أن يطل هذا الخلاف المبادئ والقيم التي نؤمن بها وندافع عنها».

تصف خديجة نفسها بأنها ذات شخصية مستقلة، تتحلى بالشجاعة والإقدام وروح المسؤولية العالية، ولا تهاب مواجهة التحديات مهما كان حجمها. تقول «لا يوقفني شيء، ولا يخيفني شيء، هذه هي رؤيتي للأشياء ومسيرتي المهنية. فعندما أكون في حضرة من هم أكثر مني علماً وخبرة، أنصت جيداً كي أتعلم، وعندما أكون في المركز مع النساء المعنفات فإنني أكرس جهدي لخدمتهن وواجبي الاستماتة في الدفاع عن حقوقهن وعن كرامتهن».

واجهت على غرار نساء ناشطات أخريات العقلية الذكورية، وهي تعتبر أن هذه العقلية متغلغلة في أفكار الرجال والنساء على حد سواء إذ طالما اتهمتها نساء بأن عملها في مجال مناهضة العنف، عبر مركز الاستماع إلى النساء المعنفات، «يفسد النساء والفتيات ولا يفيدهن». في المقابل تقر بوجود نساء أخريات يشددن على يديها ويدفعنها نحو النجاح. فسواء في الوسط العائلي أو في «الدور» الذي تنتمي إليه، ينظر إليها باعتبارها «قائدة» تساعد الجميع فعلاً لا قولاً، صادقة فيما تقول وليست ممن يقدمون وعوداً كاذبة.

مناهضة العنف والتمييز أولاً

من بين الأنشطة المتعددة التي تقوم بها خديجة صلب منظمات المجتمع المدني، إيلاء الأولوية لحراكها من أجل مناهضة التمييز والعنف ضد النساء والفتيات، والحد من تزويج القاصرات، ومساعدة الأمهات العازبات والدفع نحو تحقيق المساواة الفعلية بين الجنسين. شغلها الشاغل هو أن تحظى هؤلاء النساء بالاستقلالية الاقتصادية، فدونها، تكون المرأة هشة وضعيفة، وبالتالي تكون عرضة لجميع أشكال العنف المادي والمعنوي والاقتصادي والسياسي.



خديجة ارويبعة

من متمردة إلى قيادية

من «دوار قريبات»، إحدى الربوع القريبة من قرية تلماست (الواقعة بإقليم الصويرة) واحدة من الوجهات السياحية الجذابة والجميلة في جهة مراكش آسفي، تنحدر خديجة ارويبعة القيادية والمؤثرة، التي كانت من النساء القلائل في منطقتها اللواتي حظين بفرصة التعلم رغم الظروف العائلية المادية الصعبة، والتي اختارت بدورها التدريس مهنة لها.

جمال الطبيعة هناك يخفي حياة صعبة عاشتها خديجة، تلك الطفلة التي كانت تدرس على ضوء الشمعة وتتنقل هي وغيرها من سكان الدوار على البغال لجلب الماء. المدرسة هي أيضا بعيدة عن الدوار. وعند استكمال الدراسة الابتدائية يضطر التلاميذ إلى قطع عشرات الكيلومترات إذا ما رغبوا في الالتحاق بالمدرسة الإعدادية أو المعهد الثانوي.

تذكر أن أختها الكبرى كانت تضطر إلى قطع مسافة تزيد عن 65 كيلومترا لتصل إلى معهدا بالصويرة. كما كان على خديجة هي أيضا أن تقطع مسافات طويلة لتدرس بالمعهد، لكن رغبتها في التوجه إلى الشعبة التقنية تفرض عليها الدراسة في معهد أبعد من معهد الصويرة، الأمر الذي يستوجب إمضاء أبويها على التزام حتى يتسنى لها الالتحاق بالمعهد الفني بأسفي.

تمرد مبكر

هنا كان لزاما عليها أن تتمرد للمرة الأولى على العادات والتقاليد وأن تتغلب على رفض والديها الالتحاق بمعهد آسفي. تقول «طلب مني والدي اختيار شعبة الآداب تماما مثل أختي حتى لا اضطر إلى الدراسة بمعهد آسفي الأبعد من معهد الصويرة. لكنني كنت مصرة على الالتحاق بمعهد آسفي كلّفني ذلك ما كلفني، إذ لم تكن المسافة تشكل عائقا أمام دراسة ما أرغب فيه. فوجدت الحل في اللجوء إلى خالي الرجل الأمي كي يمضي لي وثيقة الالتزام. ذهبت إليه يوم السوق الأسبوعية وقلت له إنني بحثت عن والدي كي يمضي لي ورقة ضرورية لكنني لم أجده. وطلبت منه أن يتولى هو الأمر مكانه. فكان لي ما أردت». وحدها الأم كانت في

صف خديجة لأن الأب كان معارضا مبدأ دراسة بناته وتنقلهن بعيدا عن المنزل لاستكمال تعليمهن. لذلك فضل الاختفاء يوم سفرها إلى معهدا حتى لا يضطر إلى أن يقدم لها ما تحتاجه من مال.

في معهد آسفي لم تجر الأمور كما تشاء خديجة، إذ تعرّضت منذ اللقاء الأول بإحدى الموظفات إلى الاستهزاء من مظهرها وهندامها، هي التي لم تكن تملك ما يمكنها من شراء ملابس جديدة تليق بعالمها الجديد. شعرت بـ«الحقرة» والإهانة، وعاشت ظروفًا صعبة، لم تخل من التمرد والعصيان على قسوة الظروف في المعهد وفي البيت. ولم تنته هذه المعاناة إلا بحصولها على شهادة البكالوريا في عام 1994. عند اختيار دراستها الجامعية، كانت حكومة أيضا بظروفها وظروف أسرته المعيشية الصعبة وبالإمكانيات المادية الشحيحة، فسلكت مضطرة أقصر السبل التي تتيح لها الالتحاق بسلك التعليم مهنة لها، إذ درست سنتين في المعهد العالي للتكنولوجيا. ولأنها كانت من ضمن الناجحين الأوائل، تمكنت من دراسة سنتين في مدرسة المعلمات لتلتحق بعدها بمعهد آسفي، حيث درست سابقا، لكن مدرسة هذه المرة.

شبكة العلاقات لإحداث التغيير

حرصت خديجة المدرسة على أن تكون دائما قريبة من تلاميذها، لاسيما المعوزين منهم ممن تقف أمام تعليمهم عوائق وصعوبات جمّة. تنقلت في عديد المدارس في الريف المغربي، وكونت شبكة علاقات مهمة خاصة مع هياكل المجتمع المدني. تركزت تدخلاتها على مجال توفير الماء الصالح للشرب والكهرباء في المدارس. تقول «عندما أجد أن بعض المدارس تفتقر إلى الماء الصالح للشرب أو إلى الكهرباء أو إلى دورات المياه، أعرف جيدا بمن أتصل

ومن أين أوفر التمويلات اللازمة. فشبكة علاقاتي تضم أولياء الأمور والزملاء والأصدقاء والمسؤولين البلديين وغيرهم. أضيف إليهم اليوم نشطاء وناشطات المجتمع المدني».

نشاطها الجمعياتي تجاوز حدود المدارس، فقد انخرطت منذ سنة 2010 في جمعية «الوادي الأخضر» التي تعمل في مجال تغيير نمط عيش الناس في منطقتها نحو الأفضل. وقد تضمنت أنشطة الجمعية تنظيم حملات طبية لفائدة الشيوخ والشباب والنساء، إضافة إلى الأنشطة الثقافية لفائدة الأطفال ودروس محو الأمية للنساء الريفيات. بفضل هذه الأنشطة، لمست خديجة التغيير الذي تحقق في أوضاع النساء ومعيشتهم وممارساتهن، وتعبّر عن ذلك بوضوح أكثر قائلة: «اليوم أرى نساء أميات في السابق يستطعن اليوم ملء استمارات إدارية بأنفسهن دون الحاجة إلى أحد، وأخريات يدرن مشاريع صغيرة أصبحت مصدر رزق لهن ولأسرهن».

حتى داخل العائلة الموسّعة أيضا، غالبا ما تكون خديجة ملجأ إخوتها وأقاربها لطلب الاستشارة والعون، وحتى الأجوار نساء ورجالا، اعتادوا استشارتها وطلب العون منها سواء ما تعلّق بمسائل عائلية أو بمسائل تهم العمل أو بعض المسائل القانونية. وكثيرا ما تجد نفسها قد تم إقحامها لفض نزاع عائلي، لتتولى مهمّة الوساطة دون تردد.

خديجة يعترف لها جميع من حولها اليوم بأنها امرأة مؤثرة، نجحت في دفع عجلة التغيير في منطقتها نحو الأفضل، وما يزال أمامها الكثير لتحقيقه لاسيما لفائدة النساء الريفيات حتى يبلن استقلالهن الاقتصادي خاصة، ويكن بدورهن فاعلات في مجتمعاتهن المحلية ولم لا على الصعيد الوطني أيضا.



لطيفة بومزوغ

مسيرة فسيفسائية عنوانها

«بالفد أحيا»

بين الفن التشكيلي والإنشاد الصوفي وريادة الأعمال عوالم مختلفة لا يمكن أن تنسج منه حكاية ملهمة إلا امرأة تتمتع بروح المبادرة والإقدام وبعد النظر، وبقدرة عالية على التخطيط والإدارة وخلق التناغم والتكامل بين مجالات متنوعة قد لا تلتقي عند نفس الشخص.

إنها لطيفة بومزوغ رئيسة جمعية الفنانات التشكيليات ورئيسة جمعية الحضارات الصويريات ورئيسة التراث الموسيقي الصوفي ابنة الصويرة، التي تغذت روحها بالفن وتشبعت موهبتها بكل ما هو مرهف وجميل منذ عهد الصبا. فهي ابنة لعائلة اشتهرت باحترافها فنون النحت والرسم ضمت كبار الرسامين والنحاتين في المغرب. وفي بيت زوجها النحات، وجدت مشارب فنية أخرى تنتظرها لعل أهمها الغناء. فلم يكن غريبا أن تتجه لطيفة مبكرا إلى الفن التشكيلي والإنشاد الصوفي. تقول «في بيت زوجي بالدار البيضاء، كان يعقد كل أسبوع لقاء يجمع كبار الفنانين: ناس الغيوان وعبد الهادي بالخياط وعبد الوهاب الدوكالي وغيرهم من أشهر المغنين. عشت وسط هذه الأجواء الفنية حتى قرّر زوجي الاستقرار في مسقط رأسي الصويرة بحثا عن الهدوء والراحة».

من الفن إلى ريادة الأعمال

في الصويرة، عملت مع زوجها في ورشة للنحت، فدخلت بذلك مجال تجارة التحف الخشبية، الأمر الذي لم يكن مرغوبا فيه في منطقة لا تقبل بكسر النساء للعادات والتقاليد المجتمعية التي تحبذ مكوثها في البيت وعدم التعامل مع الرجال. اعتبرت لطيفة المسألة تحديا حتى تبرهن للنساء الأخريات أنه من الممكن المبادرة والمجازفة، بل ومن الضروري عدم الاستسلام لكل ما يعيق أحلام المرأة وطموحاتها.

قادت إليها الصدفة مستثمرة فرنسية طلبت منها توفير عدد مهم من التحف، فهدت بدورها المهمة لحرفيين وتمكنت في ظرف شهر ونصف من إرسال الطلب في الموعد المحدد. تقول «رغم العادات والتقاليد التي ترفض عمل المرأة، حظيت بثقة هؤلاء الحرفيين الذين وجدوا في النزاهة والإقدام والصدق في القول والفعل». وتوالت العروض فيما بعد، إذ اتصل بها مستثمر إيطالي لطلب مجموعة من التحف، وشيئا فشيئا تمكنت لطيفة من شراء محل مستقل، أصبح فيما بعد معرضا فنيا لزوجها. ولم يتأخر الوقت طويلا حتى يتوسع عمل لطيفة، وتشتري محلا ثانيا وثالثا.



لم يطل الأمر طويلا إذ قدّمت الفرقة بعد سنة من بعثها وبمناسبة ذكرى المولد النبوي عرضا إنشاديا بعنوان «حضرة جمعية الحضارات الصوئريات»، تم بثه على القناة التلفزيونية المغربية M2. فتح هذا العرض التلفزيوني، الذي حظي بمتابعة واسعة من جماهير من المغرب وخارجها، الباب على مصراعيه أمام لطيفة وعضوات الفرقة لتقدم عروضاً خارج المغرب: في فرنسا والدانمارك وإيطاليا والهند. وبتتالي العروض والمشاركات، أصبحت أكثر نضجا ودراية بتسيير أمور فرقها وتطويرها وأكثر طموحا وأحلاما، فعزمت على بعث مهرجان للحضرة في المغرب، رأت دورته الأولى النور سنة 2013.

ذهبت تجربتها في الإنشاد إلى أبعد من الغناء، إذ خاضت مجال العلاج بالموسيقى عندما اقترحت عليها إحدى السيدات المتخصصة في المجال فتح مركز للعلاج بالموسيقى. لم تتأخر لطيفة في قبول الفكرة وحوّلتها في وقت وجيز إلى مشروع حقيقي، فعلى أرض تملكها على بعد 30 كيلومترا من الصويرة حيث البحر والجبل، وبفضل قرض بنكي، بني مركز يضم قاعة كبيرة للعرض وغرفا للنوم وأصبح يستقطب مرضى وفرقا للعلاج بالموسيقى من خارج المغرب ممن يجدون في المكان وسط الطبيعة الغناء «جنة» لغذاء الروح وللراحة النفسية ولطلب الهدوء والسكينة.

ريادة الأعمال لم تشغلها عن العمل الخيري وعن متابعة معاناة الفئات الفقيرة والمهمشة في بلدها، ولعل أصدق مثال على ذلك، الشراكة التي قامت بها مع جمعية تعمل على جمع الملابس والأغطية للبلدان الفقيرة، فحرصت على أن يتم توجيه حمولة إلى منطقتها في الريف المغربي، وتكبّدت مشقة القيام بالإجراءات الإدارية اللازمة لذلك، وما أعقدها، حتى أمنت وصولها واستفادة من يستحقها بها.

مسيرة ثريّة ملهمة لنساء المنطقة ولأخريات خارجها، قطعتها لطيفة بشغف لا يخلو من حب مساعدة الآخرين، أثرت حتما فيهن إيجابيا رغم المصاعب والعقبات. كثيرات هن النساء اللاتي أصبحن مبادرات وإن بدرجات متفاوتة بفضل ما حققته لطيفة في مجالات مختلفة. مسيرة تتحدث عنها لطيفة بكل فخر واعتزاز وكلها يقين بأن نساء أخريات ستبادرن بالعمل خارج أسوار البيت وبالتحرر من معتقدات المجتمع لأن «خارج البيت الكثير من الأشياء الجيدة والكثير مما يجب فعله وتغييره».

في سن الأربعين، وجدت نفسها أرملة وأما لثلاثة أطفال. لكنها لم تفرط في إرث زوجها الفني، فعادت إلى الرسم مجددا وذاع صيتها ليصل إلى الكاتبة النسوية المغربية فاطمة المرينسي، فخصتها بزيارة في ورشتها بالصويرة ودعتها إلى بعث جمعية للفنانات التشكيليات. كان ذلك أواخر السنوات التسعين عندما رأت الجمعية النور ووفقت بفضل مساعدة المرينسي في تقديم عرض في قصر المؤتمرات الذي لم يكن يحتضن سوى عروض كبار الفنانين وأشهرهم. ساعدت فاطمة المرينسي أيضا في مزيد إشعاع الجمعية خارج المغرب، فتمت دعوتها للعرض في ألمانيا، وحظي المعرض بمواكبة الصحافة الألمانية واهتمامها.

بعد فترة، تزوّجت مجددا رجلا يعمل هو أيضا في مجال الفن، ساعدها على تطوير عملها فافتتحت مطعما عند مدخل المدينة، كان مورد رزق إضافي وجديد لها ولعائلتها. وحوّلت كذلك المعرض الفني لزوجها الراحل إلى مدرسة لتعليم فنون الطبخ.

التغيير بالفن

إثر ذلك، عازمت لطيفة على دخول مجال الإنشاد الصوفي، كيف لا وهي سليلت «حضارات» برعن في الإنشاد وقدن فرقا موسيقية صوفية. تفتخر بتأثيرها بجديتها إذ كانت ترافقهما منذ الصغر في عروضهما، الأمر الذي جعلها تعزم بعث فرقة إنشاد صوفي لاسيما من أجل المحافظة على هذا النمط من الغناء المهدّد بالتشتت والانحثار. توضح لطيفة «أغلب النساء الحضارات أصبحن متقدمات في السن، وفيهن من رحلت عن هذه الدنيا أو توقفت عن الغناء. لذا رأيت من الضروري بعث فرقة إنشاد نسائية تجمع منشادات من مختلف الأعمار من أجل جمع الأغاني وحفظ تراث الإنشاد الصوفي من النسيان، فكان لي ذلك سنة 2008».



منية رازي

النضال الحقيقي اجتماعي بالأساس

بين ربوع المغرب بتضاريسها الغنيّة الساحرة، تنقلت منية مع عائلتها بحكم عمل والدها الموظف في وزارة الداخلية. فتعلّمت منه حب السفر والتجوال، وأيضا حب الوطن والحرص على استكشاف ربوعه وشعابه وتنمية كل شبر فيه.

انخرطت في سن مبكرة في العمل الجمعياتي، وتحديدًا ضمن جمعية «الشعلة» الثقافية، ما ساعدها على صقل مواهبها وتعزيز مهاراتها من خلال المشاركة في الورش التدريبية وفي اللقاءات والندوات. وتحصلت بفضل حراكها هذا على عديد الشهادات والديبلومات في التنشيط الرياضي والثقافي. ونظرا لتألقها وتميزها في هذه المشاركات، قامت ببعث جمعية في مدينة الصويرة، فاخترت المحافظة على البيئة مجالًا لعملها.

النساء والبيئة، خطان متقاطعان

تجنّدت منية لحماية البيئة سواء من خلال عملها أو من خلال نشاطها صلب المجتمع المدني، وعبر برنامج مشترك لجمعية الشعلة وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة، نفذت مشروعا يستهدف الأطفال وأولياءهم في مجال غراسة الأشجار، وتولت تدريب معلمين ومدرسين بهدف إدماج المحافظة على البيئة في البرامج التعليمية.

عملت منية أيضا مع عدد من المنظمات الدولية على غرار منظمة «اندا» والوكالة الألمانية للتعاون الفني، وجمعيات متنوعة في مجال التشجيع على غراسة الأشجار والاهتمام بها، لاسيما شجرة «العراعر» متعددة الفوائد، فكانت على اتصال وتواصل مباشرين مع الفلاحين والحرفيين رجالا ونساء.

كانت النساء من بين الفئات المستهدفة بالمشاريع التي أشرفت منية على تنفيذها أو شاركت في تنفيذها، إذ تم الاهتمام بمحو الأمية للنساء الريفيات ومساعدتهن في الانخراط في التعاونيات وفي تسويق منتجاتهن، وبالتالي مساعدتهن في بعث مشاريع مدرة للدخل دون الإضرار بالموارد الطبيعية، وتوعيتهن بكيفية المحافظة على الثروات الغابية، وذلك عبر غراسة شجرة العراعر أو صنع مواد التجميل من شجرة الأرغان.

تتعدد الجبهات من أجل تغيير واقع النساء

منية شغوفة بما تقوم به صلب هياكل المجتمع المدني: جمعية الأمل، الجمعية التي بعثتها المختصة في البيئة وجمعية حماية المستهلك وجمعية بيتي لحماية الأطفال في أوضاع صعبة. أربع جبهات مكّنت هذه المرأة القيادية من نسج علاقات اجتماعية مباشرة وغير مباشرة، تستطيع حشدها كلما اقتضى الأمر ذلك للتأثير في مجتمعها المحلي وللدفع قصد تغيير الأوضاع نحو الأفضل حتى يكون أكثر ملاءمة لمتنوع الجميع ولاسيما النساء بحقوقهن. فالمرأة هي القاسم المشترك بين مختلف هذه الأنشطة، وهي الفئة المستهدفة ذات الأولوية حسب ما تقول منية «في جمعية حماية المستهلك مثلا، نعمل على توعية النساء الريفيات من أجل أن يحسنّ التصرف في نمط استهلاك الأسرة. فهن على اتصال مباشر مع المنتجات الموجهة للأطفال، لذا من الواجب أن يكنّ على دراية بكيفية اختيار المنتجات وإجراءات التبليغ ضد منتج مضر بالصحة».

منية المتخصصة في الإعلامية، تولّت أيضا في إطار عملها تدريب فتيات، حرمن من استكمال تعليمهن، على استعمال الحاسوب حتى يتسنى لهن إيجاد مورد رزق. تواصل تأطير منية وتدريبها للفتيات على مدى ست سنوات، دون مقابل مادي، إيمانا منها بأن التعليم والاستقلالية المادية والاقتصادية هما سلاح الفتيات والنساء لنيل حقوقهن.

لدى منية بين الأمس واليوم قناعة بأن النضال الحقيقي يكون على الصعيد الاجتماعي لا السياسي، هي التي خبرت العمل السياسي، سرعان ما غادرته لتجد قيمة ما تقوم به في الحراك الجمعياتي. تقول: «صرت على يقين بأن النضال الحقيقي هو اجتماعي بامتياز وليس كما يروج له سياسي أو نقابي. فالنضال الاجتماعي لا يخضع لقيود السياسة. لطالما أردت أن أفرّض نفسي بكفاءتي لا من خلال اسم حزب. وأريد أن أواصل مسيرتي من أجل مساعدة الناس في منطقتي».

تتحدث منية بكل قلق عن غياب الإطار التشريعي الذي يمكن بوجوده حماية الثروات الغابية من الاستهلاك المفرط والعشوائي، وكيف كان من الضروري توفير حلول بديلة تمكّن متساكني الغابات من خلق مورد رزق والمحافظة على الثروة الغابية في آن واحد.

وكثيرا ما كانت منية تنتقل على بعد عشرات الكيلومترات من الصويرة لتتحدث إلى سكان المناطق الغابية وترفع وعيهم بأهمية المحافظة على البيئة، مستثمرة في ذلك جذورها الأمازيغية التي تتقاسمها مع هؤلاء.

انشغالها بقضايا البيئة لم يكن بمعزل عن سعيها الجاد نحو خلق لجان أحياء في مدينة الصويرة وإثراء النسيج الجمعياتي بجمعيات صغرى ولجان تسهر على تنفيذ مشاريع تهم الحياة في المدينة. وفي اتجاه تحقيق ذلك، اهتمت أيضا بتأطير الشباب من الجنسين لدفعهم نحو بعث هذه اللجان ولتوعيتهم بقضايا البيئة وبخصوصية مجتمعهم المحلي، ونجحت في ذلك.

تقر منية في هذا السياق، أنها كانت مؤثرة بشكل بارز في هذا الاتجاه، وهي تلمس هذا التأثير إلى اليوم من خلال العلاقات المتواصلة مع أعضاء اللجان ومدّ يد العون لكوادرها كلما اقتضى الأمر. وتلمسه كذلك في المشاريع التي بعثتها نساء حرفيات ممن حظين بتكوين وتأطير منها. في المقابل، تؤكد أنها تعلمت الكثير من عملها ونشاطها الجمعياتي فأصبحت أكثر مرونة في التعامل مع الآخرين وأكثر قدرة على التأقلم مع مختلف الظروف والأوضاع.

ولعل هذه المرونة وهذه القدرة على التصرف بحسب الظروف، هي ما مكّنت منية من تقديم الكثير في إطار جمعية «الأمل» لمرضى السرطان، والتي من خلالها يتم تقديم المساعدة لعدد من النساء اللاتي يعانين من سرطان الثدي أو سرطان الرحم. كانت الجمعية وسيطا بين النساء (ريفيات بعضهن لا يتكلمن إلا الأمازيغية) والأطباء أو بينهن وبين المستشفى، علاوة على التكفل بالإجراءات الإدارية والمالية اللازمة لتغطية نفقات العلاج والتنقل والإيواء.



رحمة رقيق

لا أرى نفسي دون وجود الآخرين!

ولدت رحمة رقيق في أغادير بطنجة الواقعة شمال المغرب، ثم انتقلت إلى منطقة بني جرير، عاصمة إقليم الرحامنة بجهة مراكش آسفي، حيث زاولت تعليمها الثانوي والجامعي فحصلت على الدبلوم في الأدب الفرنسي. عملت في البداية مساعدة اجتماعية في مركز استماع، وبفضل اجتهادها واتقانها لعملها، عيّنت على رأس مركز اجتماعي يعنى بالأطفال القصر من فاقد السند العائلي والأطفال في أوضاع هشة.

تأثرت رحمة، التي فقدت أباهما في سن مبكرة، بوالدتها وجدتها التي تكفلت بتربيتها ورعايتها. كانت هذه الأخيرة امرأة مستقلة وشجاعة، وفي منزلها بأغادير (مدينة ساحلية)، كانت توجد غرفة كبيرة مخصصة لتعليم النساء النسيج والحياتة، فقد كانت تطلب من النساء ملء أوقات فراغهن في تعلّم ما يفيد بدل «الثرثرة وإضاعة الوقت». وعلاوة على ورشة الحياكة التي أسستها الجدة لخدمة نساء منطقتها ومساعدتهن على تحقيق استقلالهن الاقتصادي، كثيرا ما كانت الجدة ملجأ الأهل والجيران لفض الخلافات، فقد كانت كلمتها مسموعة وأوامرها مطاعة. وتذكر رحمة أحد مواقفها الجريئة عندما استقبلت في بيتها ذات مرة أمّا عزباء لحمايتها من أهلها في خطوة غير مسبوقّة وشجاعة آنذاك.

في هذا الجو العائلي المتشبع بقيم التعاون والتكافل، ترعرعت رحمة، ونقلت بدورها هذا الحس إلى ابنها الشاب الذي لا يتوانى عن تقديم الدعم والمساندة للأطفال فاقد السند الذين يهتم بهم المركز الذي تديره والدته. وفي بني جرير، تتحدث رحمة بكل فخر عن وجود أشخاص كثيرين يعملون بصفة طوعية من أجل تحسين ظروف عيش الناس هناك، يجمعهم الإيثار والإخلاص والجدية في العمل. ف«العمل الجمعياتي عمل إنساني بالأساس، لا يخضع إلى حسابات المال والسياسة» كما تقول.

الاحترام والثقة قيم إنسانية ثابتة

تحب رحمة مساعدة الآخرين، فهي شخصية مسالمة تكره النزاع والصراع، لكنها لا تتسامح مع من لا يحترم غيره. تقول: «نستطيع العيش بأفكار وآراء مختلفة، لكننا لا نستطيع العيش في غياب الاحترام المتبادل». وهي في المقابل تكره التكبر والتعالي تجاه أي شخص كان، بسبب وضعه الاجتماعي أو استنادا إلى دينه أو جنسه أو عرقه، وتعتبر الاحترام والثقة قيما ثابتة لا تقبل المساومة.

القيادة فعل جماعي بالأساس

تصف رحمة الشخص القيادي بكونه ذلك الشخص الذي يقوم بتشريك الآخرين في اتخاذ القرارات، إذ لا يجب اتخاذ القرار بشكل فردي، بل عن طريق دفع انخراط الآخرين في جو يتسم بالتعاون وليس بالتراخي. وتعتبر أن القائد الناجح هو الذي ينال دعم الآخرين واستجابتهم لما يقوم به لا بدافع التبعية ولكن بدافع الالتزام والتأثر به.

هي لا ترى نفسها امرأة قيادية أو قائدة، بل تقول إنها في حاجة إلى التعلم أكثر فأكثر، وهي دائما ما تستمع إلى تجارب الآخرين للاستفادة منها، وتسعى أن تكون بدورها مفيدة لهم وفي خدمتهم.

تعلمت رحمة على امتداد سنوات عملها ونشاطها الجمعياتي الصبر والإيثار. مساعدة الأطفال والشباب ومرافقتهم، تعطيها سلاما داخليا وراحة نفسية كبيرة. فهي لا تملك مشروعا خاصا بها، ولا أهداف فردية. إنما غايتها أن تساعد الآخرين وفي أن تقدم نموذجا مختلفا للمرأة التي تستطيع أن تكون قيادية وتستثمر في الجيل الجديد لمستقبل أفضل. وهي في حالة تعلم وتقييم ذاتي مستمرين، تسعى إلى التغلب على النقائص التي تتفطن إليها كلما عمدت إلى تقييم ما أنجزته، وتمضي قدما للتغيير المجتمعي وإن تحقق على المدى المتوسط لا القريب.

لذلك فهي تتعامل مع الآخرين وفقا لقدرة كل واحد فيهم ومؤهلاته. فالتعامل مع الأطفال يختلف عن التعامل مع الشباب أو مع كبار السن. وهي تولي أهمية لهذه التفاصيل التي تبدو صغيرة لكنها في نظرها ضرورية لبناء علاقات تسودها الثقة والاحترام. وهي تحرص في عملها على ترك مشاكلها وشواغلها جانبا، وتهتم خلال اللقاءات التي تنظمها أو تشارك فيها، بكل الموجودين وتحرص على أن تبرز اهتمامها بهم وانصاتها لما يقولون.

توضح رحمة كيف أن شخصيتها وشغفها بما تقوم به ساعداها كثيرا في عملها وفي نشاطها الجمعياتي. ففي إدارتها للمركز، تعتمد إلى التعامل بمرونة، وعلى «مسك العصي من الوسط» في فض المشاكل والنزاعات. وهي تحاول المروحة بين المرونة والصرامة في آن لأن ذلك هو السبيل إلى التحكم في زمام الأمور وحسن الإدارة حسب خبرتها في الإدارة والإشراف. وفي الجمعية، التي تعنى بتكوين النساء والشباب وتأهيلهم في مجالات متنوعة، تتواصل رحمة بشكل دائم مع الشباب المعطل عن العمل من الحاصلين على دبلوم، فتقوم الجمعية ببناء قدراتهم وتأهيلهم في مجال تخصصهم ليكونوا مستعدين لدخول سوق العمل. كما تنضوي رحمة ضمن جمعيات



فتيحة إدموليد

أنت مشروع سينجح !!

نشأت فتيحة ذات الأربعة والعشرين ربيعا في قرية تبعد بضعة كيلومترات عن منطقة «سميمو» (الواقعة بدائرة تمنار، إقليم الصويرة في جهة مراكش آسفي)، في عائلة فقيرة تتكون من سبع بنات وولدين. لم يكن والدها يمتلك الإمكانات الكفيلة بتوفير احتياجات الأسرة الأساسية، مما جعلها الوحيدة في أسرتها التي واصلت تعليمها وتمكنت من اجتياز المرحلتين الابتدائية والثانوية، لتلتحق بجامعة أغادير، معتبرة أن «الفقر لا يشكل عائقا إذا ما توفرت الرغبة والعزيمة والإرادة». تستحضر شرارة الطموح التي فتحت أمامها مبكرا أفقا يتجاوز حدود قريتها الصغيرة، عندما عازمت التفوق في دراستها وترك مسقط رأسها لتلتحق بفتيات المدن، فكانت أول فتاة في القرية تحقق ذلك.

قيادية منذ الصغر

هذه العزيمة ورثتها فتيحة من جدتها لأبيها التي كافحت بشدة لتربية أطفالها بعد وفاة زوجها وهي لا تزال في ريعان الشباب. حدثتها جدتها أنها كانت تخرج ليلا متنكرة بملابس الرجال على ظهر حمار، لبيع البضائع وإطعام أطفالها. انتزعت من إخوة زوجها بمشقة نصيب أطفالها من ميراث والدهم الراحل، فكانت هي، رغم أميتها، مصدر إلهام فتيحة ومساندتها للمضي قدما في طريق العلم والمعرفة.

في المرحلة الثانوية انجذبت إلى النشاط صلب الأنشطة وإلى العمل الجمعياتي، فانخرطت منذ سن الخامسة عشرة في نوادي المسرح وفي جمعية يرأسها أحد مدرسيها. فوجدت في هذا العالم الجديد مساحة للتعرف إلى ما تتمتع به من مهارات وقدرات ومن ضمنها قدرتها على الإشراف على الشباب، وعلى تنظيم الأنشطة والفعاليات. كان هذا

كفيلا بأن ينجذب إليها المحيطون بها، ويقرّون بتميزها عن غيرها ويتأثرون بما تتمتع به من شغف وطموح وإرادة.

في الجامعة، برزت لديها أكثر فأكثر مميزات القيادة والتأثير، إذ سرعان ما أنشأت جمعية في تحدّ للعمل الجمعياتي الذي عادة ما كان يهيمن عليه الطلبة الذكور. فعهدت إلى نفسها مهمة حشد طلبة الجامعة وحثهم على الانضمام للجمعية، وتمكنت من توجيه انتباههم وتوعيتهم بأهمية العمل الجمعياتي. وفي الوقت نفسه، كانت تقدم دروسا خاصة للتلاميذ الصغار، وهو ما شكّل فرصة بالنسبة إليها لتشجيعهم على الانخراط صلب النوادي في أحيائهم. في خضم ذلك، كان لها وعي بضرورة استقطاب الفتيات حتى يأخذن بزمام المبادرة ويكتسبن الثقة في النفس ويستطعن تحقيق طموحاتهن، في تحدّ للعقلية الذكورية السائدة والمتغلغلة خاصة في الوسط الريفي.

«هناك تخضع العلاقات بين الرجال والنساء إلى العادات والتقاليد المجتمعية الذكورية» كما تقول. ولأنها تدرك تماما ثقل هذه العادات، فقد راهنت على كسب ثقة مجتمعها المحلي ودعمه، وعلى نجاحها العلمي والصيت الذي حظي به نشاطها صلب هياكل المجتمع المدني، فكانت مثال الفتاة الريفية الناجحة والمتناغمة مع محيطها الاجتماعي.

تذكر فتيحة أن الجمعية التي تنتمي إليها نظمت رحلة للفتيان والفتيات في منطقتها. بادئ الأمر لم تحظ الرحلة بتسجيل الفتيات، وعندما بحث بنفسها عن السبب اكتشفت أن الأولياء وضعوا شرطا لذهاب بناتهم إلى الرحلة وجود فتيحة نفسها فيها. لقد كانت الإجابة واحدة «طالما أن

فتيحة لن تشارك في الرحلة، فلن يشعر الأولياء بالاطمئنان على بناتهم». عندها أعلنت فتيحة عن مشاركتها في الرحلة ليتجاوز بذلك عدد الفتيات المسجلات عدد الفتيان.

نجحت في أن تكون قدوة ومثالا لغيرها من الشابات والشبان، وهي تؤمن بأن العمل من أجل تحرير الفتيات يجب أن يمر بطريقة أو بأخرى من خلال البالغين، وتحديد الوالدين. تقول: «أحرص على أن أطمئن الآباء حتى لا تكون لديهم أية مخاوف على بناتهم. كان علي أن أتحدث معهم حسب عقليتهم، حتى أكون أنموذجا يحظى بثقة أولياء الأمور، وملهما للفتيات في ذات الوقت. وأظن أنني وفقت في تبني استراتيجية بعيدة كل البعد عن العدوانية والتصادم».

بفضل نشاطها الجمعياتي، نشرت فتيحة أفكارا جديدة وحشدت أبناء وبنات منطقتها «سميمو» لتبنيها، وكان نشاطها لا يقتصر على الميدان فحسب، بل كذلك عبر موقع التواصل الاجتماعي «فيسبوك» لما يتيح من إمكانية الوصول إلى أكبر عدد ممكن من المستخدمين. شيئا فشيئا بدأت تعانين تغييرات بطيئة ولكنها كانت عميقة: ارتفاع عدد الفتيات اللائي ينجحن في تعليمهن ويواصلن دراستهن ويغادرن القرية في اتجاه الجامعة، انخفاض عدد الفتيات اللائي يتزوجن في سن مبكرة، قدرة الفتيات على التعبير بحرية وجرأة عن رغبتهن في تأجيل الزواج لبضع سنوات أخرى، من أجل إعطاء الأولوية للدراسة والتوظيف... كلها مؤشرات واضحة على التغيير الذي تحقق بفضل جهود فتيحة وأخريات آمنّ بما آمنت به ونجحن في إحداث تغيير في مجتمعهن المحلي الذي لطالما سادته وما تزال العادات والتقاليد التمييزية.

طموح لا تثنيه العقبات المجتمعية

نعم، تقرّ فتيحة بأنها فتحت الطريق أمام فتيات أخريات في منطقتها لتجاوز حدودها الجغرافية الضيقة من أجل أن يسلكن الطريق التي سلكتها نحو العلم والنجاح. وهي الطريق التي ستقودهن نحو دروب المبادرة والتحرر والمساواة. تقول في هذا السياق «أريد أن أرى أكبر عدد ممكن من الفتيات يحررن أنفسهن ويصلن بفضل قدراتهن ووسائلهن الخاصة إلى مناصب صنع القرار! فعندما تعوّل المرأة على نفسها، وتنجح بفضل جهدها الخاص، تكون أكثر قدرة على التأثير والقيادة وعلى التغيير».

لديها وعي بتطور مسارها الذي خطّطت له منذ طفولتها، وهي حريصة على متابعة ردود فعل الناس على فيسبوك حتى وإن كانت ردود فعل رافضة لنشاط المرأة وفعاليتها في المجتمع. طموحها لا يعرف حدودا، فبعد المشاركة في مؤتمرات واجتماعات في مناطق مختلفة في المغرب كأغادير والدار البيضاء ومراكش وغيرها... تطمح فتيحة إلى الانفتاح على تجارب المرأة المغربية والعربية بهدف التعرف إلى تجارب جديدة ومتنوعة والاطلاع على حركات تحرير المرأة في المنطقة العربية. وهي اليوم تخطط لبعث مشروع لبناء قدرات النساء والفتيات، اللواتي لم تتح لهن الفرصة لمواصلة دراستهن، في مجال استثمار الموارد الطبيعية في المنطقة، وخاصة شجرة الأركان المتوفرة في منطقتهم، من أجل الحصول على عمل يحفظ لهن كرامتهن ويسمح لهن بكسب لقمة العيش.

عيونها متّجهة بشوق ولهفة نحو ما وراء سماء سميوم والمغرب، لكن جذورها متأصلة في قريتها الأمازيغية، تقول «يجب أن تكون نقطة الانطلاق قريتي، فهي بمثابة الأم الثانية»...



أمام فتيحة أحلام وآمال كثيرة لتحقيقها، ونساء وفتيات منطقتها في حاجة إلى دعمها ومساندتها من أجل تغيير أوضاعهن. وهي اليوم فخورة بالسمعة الحسنة التي حظيت بها، وتتمنى لو أن ما تقوم به من جهد يعود بالفائدة على الجميع كبارا وصغارا نساء ورجالا دون استثناء. أليست هي ذاتها تلك الفتاة التي قال عنها أستاذ الفلسفة في مدرستها الثانوية «أنت مشروع سينجح»!

نساء قيادات من تونس



قيادية

بالفد والطفولة



أحلام سليم

ابنة القطار (مدينة تقع جنوب قفصة)، ولدت وترعرعت فيها، تبلغ من العمر 49 سنة وهي أستاذة فرنسية بالمرحلة الابتدائية. وبما أن القطار هي إحدى مدن قفصة التي يتمحور اقتصادها حول الحوض المنجمي وإنتاج الفسفاط، فإن أباهما قضى سنوات طوال في العمل في شركة الفسفاط، المعروفة برواتبها المرتفعة، ولا يعود إلى البيت إلا مرة كل أسبوعين رغم أن له أرضا زراعية لا تبعد عن البلدة سوى 4 كلم.

في هذه الأرض، كانت الزوجة والأبناء ومن بينهم أحلام التي لم تكن تبلغ من العمر سوى 12 سنة، هم من يهتمون بها ويشرفون على العملية فيها. وبقيت أحلام، الطفلة ثم الشابة ذات العشرين سنة، تقضي وقتها بين الدراسة والأرض.

كانت هذه الأخيرة بالنسبة إليها جنتها، فإنتاجها الوفير من الحليب والقمح والزيت والغلال، يفي حتى بتوزيعه هدايا على الأقارب والجيران. قضت أحلام طفولتها وجزءا من شبابها في الأرض بين ستة إخوة ذكور، جعلت أباهما يعتد بها إلى درجة أنه لا يتردد في الإعلان أن له سبعة أولاد ونصف. فهي في عينيه «رجل ونصف» عربون اعتراف بمكانة ابنته المتميزة بين ستة إخوة. لم يميز أبوها بين الذكور والإناث في تشجيعهم على مواصلة الدراسة، لكنه كان يخيّر أن يترك الذكور مقاعد الدراسة للاعتناء بالأرض نظرا إلى غيابه عنها وانشغاله بعمله الأساسي في شركة الفسفاط.

أم أحلام كانت مصدر إلهامها، فهي لا تخفي انبهارها بها، هي التي تحسن التصرف في كل المواقف والأوضاع ولا عقبية تقف أمامها أو تحول دون حلها لوضعية معقدة. فغياب زوجها خلق فيها تحدي اكتساب معارف في مجالات عديدة، وأحلام نهلت من ذلك.

في هذه الأجواء العائلية، ترعرعت أحلام، في مدينة عرفت منذ القدم بالنظافة جعلتها تحظى بتكريمات سنوية. كما أن المدينة لم «تتورط» كما تقول أحلام في منطق «العروشية» على غرار مدن الجنوب الأخرى.

كانت نشطة جدا في المعهد فالتحقت بمختلف الأندية الرياضية والثقافية. وهناك، وفي سن 14 من عمرها عرفت لأول مرة الحب مع شاب من قريتها

يكبرها بثمانى سنوات، تَوَجَّ لاحقا بالزواج. وكان قرار الزواج تحديا نظرا لتصدي العائلة له وخاصة رفض الأخ الأكبر الذي لم يستسغ فكرة زوج تختاره وتقدمه للعائلة. فهو ضرب من ضروب الجرأة في منطقة، الكلمة الفصل فيها في مثل هذه المواضيع تكون للعائلة.

كشف هذا الرفض جانبا آخر من شخصية أحلام. ففي تلك الفترة كانت تدرس بتطاوين، أقصى جنوب البلاد. فهددت وهي ابنة الواحد والعشرين بعقد قرانها في المدينة التي تعمل فيها بعيدا عن الكل. أضربت عن الطعام في بيتهم ووضعت الأهل أمام خيارين لا ثالث لهما، إما القبول أو عدم العودة إلى قفصة. وكسبت الرهان غير المتكافئ ليشكل أحد مؤشرات تحررها الذي ما فتئ يتبلور مع مرور الزمن. ولعل هذه المؤشرات كانت موجودة فعلا طيلة مسيرتها الدراسية، فهي كلما حلت في مكان تجمع حولها الجميع قصد إنشاء ناد في الجامعة أو تنظيم نشاط... وفي المبيت الجامعي بتونس، اتفقت طالبات من جهة قفصة على تعيينها قائدتهن، فبعثت فريقا لكرة اليد وناديا للمسرح وتحوّل إلى أخصائية في التجميل في عطلة نهاية الأسبوع.

أحلام «الجوكر»

غيّرت توجيهها بعد سنتين في الجامعة نحو التعليم الابتدائي لتتمكن من مساعدة عائلتها وإخوتها الأصغر منها سنا لمواصلة تعليمهم الجامعي بعد الأزمة الاقتصادية التي عرفتتها العائلة جراء ثلاث سنوات متتالية من الجفاف. ومكّنها راتبها ومداخل الدروس الخصوصية من فرض نفسها في عائلتين كثيرتي العدد خاصة عندما قررت استثمار ما تجنيه في مشروعين، الأول لكراء فساتين الأعراس والثاني لبيع الأثاث المستعمل. لم تمر سوى سنوات قليلة حتى تمكنت أحلام من تشييد منزلين الأول بقريتها والثاني بالمنستير.

تميزت في إطار عائلتها بشخصية قويّة وبعطاء لا متناه، فهي تقدم مساعدات مالية لكل وكلهم يهرعون إليها لتدبير أمورهم أو للإسرار لها بسر أو لاستشارتها. تعيد

المياه إلى مجاريها بين المتزوجين وتكون «مرسول» حب بين الشباب العاشق لتصبح بذلك نقطة ارتكاز شبكة العلاقات التي تمسك بخيوطها. ولم تكن أحلام نقطة ارتكاز شبكة علاقات عائلية فحسب، بل أنها تجاوزتها إلى الفضاء العام في المدرسة والمدينة.

تقول «أنا كاتبة عامة لجمعية البيئة للقطار وعضوة مؤسسة لجمعية قدماء معهد القطار وعضوة بجمعية معلمي الفرنسية ونادي اليونسكو وكذلك في معظم الجمعيات الناشطة في مجالات الثقافة والتعليم والبيئة فهي مجالات اهتماماتي الرئيسية».

وفي المدرسة أكسبتها نوادي اللغات والمسرح والرحلات والعروض الموسيقية والسينمائية صيتا لدى الأولياء والزملاء والمسؤولين في الجهة، علاوة على النجاح الباهر لتلامذتها على المستوى الوطني. كما قامت أحلام ومنذ 20 سنة ببعث كورال في دار الثقافة حصدا لجوائز وطنية وأوصلتها وكورالها إلى مهرجانات وطنية وخارج الوطن أيضا. 152 طفلا يغنون ويعزفون، فهي تعتقد أن الغناء وحده لا يكفي، والآلة الموسيقية كفيلة بملء أوقات فراغ الطفل وانتقاء أصدقائه. «فالطفل الفنان» وهو عنوان مشروعها، تتم حمايته مبكرا بشغف ينمي ذوقه ويوجه طاقته فترة المراهقة. وأحلام فخورة اليوم لا فقط بسبب كون من بين الميسرين والمنشطين معها، شابات كن يغنين في الكورال عندما كن صغارا، ولكن أيضا لنجاحها في بعث مهرجان سنوي يستقطب عددا كبيرا من المشاركين والمتابعين.

سارت بناتها على خطاها في الاهتمام باللغات والموسيقى. درست إحداهن الألمانية وتحصلت على منحة لمواصلة دراستها بألمانيا أين انضمت أيضا إلى جمعيات عديدة للمهاجرين السوريين. وانتقلت عدوى الموسيقى إلى الثانية لتنضم إلى كورال أمها وتنفرد بعروض في القطار وخارجها.

مسيرة طويلة من الكفاح والتأثير في المحيط العائلي والخارجي وسلاحان أساسيان : الموسيقى واللغات وما أنجعهما لحماية أطفال اليوم !.



بشيرة حلواني

لا يكون التغيير حقيقيا إلا عبر تركيز آليات مجتمعية ومؤسسية

هي إحدى مؤسسات جمعية «مواطنات» التي رأت النور في شهر مارس من عام 2011 إبان ثورة 14 جانفي (كانون الثاني) من العام نفسه، إذ رغبت مجموعة من النساء المنتميات إلى قوى التقدم والديمقراطية في مدينة صفاقس (عاصمة الجنوب التونسي) بعث جمعية لمواصلة الحراك من أجل تعزيز حقوق النساء ومشاركتهن في الشأن العام.

كانت بشيرة على رأس هؤلاء النساء، نشاطها في مجال الدفاع عن الحقوق الإنسانية للمرأة انطلق سنوات قبل الثورة، لذلك فهي على دراية كاملة بمدى تطور أوضاع النساء في تونس، وبواقع كل المنظمات العاملة في المجال، ومن ضمنها تلك التي كانت في خدمة النظام السياسي السابق.

تذكر كيف كان من الصعب آنذاك بعث جمعية مستقلة تعنى بالدفاع عن حقوق المرأة يكون نشاطها بمنأى عن الحزب الحاكم، ودليها على ذلك الجمعية التونسية للنساء الديمقراطيات التي عانت عضواتها من تضحيات كبيرة وتهديدات بسبب حراك الجمعية وحفاظها على استقلاليتها.

البدايات الصعبة

انطلقت جمعية «مواطنات» فكرة دون مقر أو تمويل يسهّلان تنفيذ رسالة الجمعية واستراتيجيتها. لكن الرؤية كانت واضحة ومستندة إلى ما تحقق للنساء في تونس منذ بناء الدولة الحديثة. فبشيرة ومن معها في الجمعية اخترن ألا يكن راديكاليات في موقفهن تجاه إنجازات الدولة الحديثة وفترة حكم بن علي، واخترن القيام بتقييم موضوعي يبني على النقاط الإيجابية ولا يرفض المكتسبات المحققة بل يحافظ عليها.

سعي نحو إحداث التغيير

تولي جمعية «مواطنات» العمل الميداني أهمية بالغة، فالأنشطة التي يتم تنظيمها يجب أن تسهم في إحداث تغيير ما. لذا اهتمت الجمعية بقضايا آنية لها وثيق الارتباط بمسار التغيير الذي عرفته تونس منذ ثورة جانفي 2011. عملت الجمعية على قضايا الجماعات المحلية، واللامركزية، وقانون التناسف، والقانون الانتخابي، والقانون الأساسي للمالية... وتتولى الجمعية رفع التوصيات المنبثقة عن لقاءاتها والورقات التي أنجزها خيرة الخبراء والخبيرات في هذه المسائل إلى البرلمان بهدف الحث على وضع السياسات الملائمة المراعية في جوهرها لمقاربة النوع الاجتماعي.

تقول «من أجل التأثير في المجتمع، يجب أن تكون لدينا قاعدة مهمة. ونحن على يقين بأن تونس لم تعيش بعد حياة سياسية حقيقية، فمعظم الأحزاب السياسية لا تمتلك قاعدة جماهيرية واسعة. صحيح أننا لم نكن أغلبية، لكن لنا فلسفتنا الخاصة، ولدينا إرث نضالي سواء على الصعيد السياسي أو النقابي».

تسجل بشيرة نقطة إيجابية في التعاطي مع قضايا المرأة في تونس، فهي تعتبر أن النقاش حول الموضوع خرج من دوائر السلطة والدولة لينتقل إلى المجال الاجتماعي، حيث توجد ديناميكية وإن اتسمت عموماً بعدم القدرة على التقدم كما يجب، في ظل تنامي المد الرجعي.

تعتبر بشيرة أن لجمعية دور مهم في الضغط والحشد والدعوة فيما تم تحقيقه من إنجازات لفائدة النساء في تونس. وقد كانت هي وزميلاتها من ضمن النساء اللاتي طالبن بضرورة اعتماد مبدأ التناسف الأفقي والعمودي في القوائم الانتخابية، ونجحن في ذلك. وفي حديثها عن هذا الحراك، تؤكد أن المهم لا يكمن فقط في ضمان وجود عدد متساو من النساء والرجال في المجالس المنتخبة، بل في الطريقة التي تشارك فيها النساء في مسارات صنع القرار.

لتجاوز عقبة عدم وجود المقر، جعلت بشيرة من بيتها مقراً للجمعية، وكانت العضوات يلتقن عندها كل يوم ثلاثاء لوضع استراتيجيات الجمعية والاتفاق في خصوص رسالتها وأهدافها ومجالات عملها. ثم سرعان ما اقترحت عليها إحدى صديقاتها التي كانت ترأس جمعية تهتم بالأطفال، أن تتقاسم معها مقر جمعيتها مؤقتاً. ثم تالتت الاجتماعات واللقاءات والندوات التي عقدتها الجمعية والتي كانت تهدف إلى رفع الوعي بأهمية وصول النساء إلى مواقع صنع القرار في مختلف المجالات، لا سيما في البرلمان وفي المجالس البلدية حتى لا تكون السياسات والاستراتيجيات التي تتم بلورتها في مختلف أجهزة الدولة مغيبية لقضايا النساء وحقوقهن.

تنتقد بشيرة حلواني بشدة مواقف رجال السياسة وممثلي الأحزاب، فهم استناداً إلى ما عاينته بنفسها عن قرب، يعيدون إنتاج المواقف و«الممارسات الرجعية»، ولا يتعاملون بجدية مع قضايا النساء صلب الأحزاب، ويكتفون بوضع لجنة للمرأة حتى يجعلون اهتمام النساء المنصويات في الحزب مقتصر على شؤون المرأة، وهو الخطأ الفادح بحسب بشيرة. تقول «لدى رجال السياسة تصور سطحي لتركيبية المجتمع، وهم يتناسون أن التنوع داخل هذه التركيبة لا يعني ترسيخ التمييز والتراتبية، إذ لا يمكن بأي حال من الأحوال تحويل التنوع إلى لا مساواة وتمييز. هذا ما دفعنا صلب جمعية «مواطنات» إلى العمل من أجل رفع مستوى وجود النساء ضمن المجالس البلدية حتى يكن قادرات على تغيير العقلية والممارسات في خصوص أدوار النساء والرجال وأوضاعهما ومكانة كل منهما في المجتمع».



بسمة أم الزين

شخصية مؤثرة، نسجتها من خارج «الصناديق المألوفة»

هي شخصية متفردة نوعا ما، يناهز عمرها الخمسين سنة، أم لطالبيين في الجامعة وزوجة لجامعي. إبان الثورة، انخرطت في الحياة السياسية والمدنية متسلحة بقيم وموارد شخصية رغم أنه لا شيء في محيطها الضيق ملائم للاهتمام بالشأن العام. ابنة الساحل واصلت تعليمها الجامعي في شعبة التصريف بعاصمة الجنوب التونسي صفاقس، ومنها إلى تونس العاصمة للعمل لمدة سنة في شركة صناعية.

اكتشفت الالتزام بالقضايا بفضل زوج أختها الذي ينشط في نوادي للسينما. كانت ترافقه في عروض الأفلام الملتزمة في النوادي والجامعات لمدة سنوات لتشكل تلك العروض بداية انفتاح وعيها على الثقافة الملتزمة والاهتمام بالشأن العام. كان ذلك خلال سنوات قمع حكم الرئيس زين العابدين بن علي لكل تعبير سياسي خاصة في الجامعات.

الالتزام بالقضايا وبالتغيير المجتمعي

كانت شخصيتها الملتزمة بالقضايا قد تبلورت عندما تزوجت من أستاذ جامعي يساري وعضو في الرابطة التونسية لحقوق الإنسان، هي المتشعبة بالقيم اللائكية والحدائية التي توجهها نحو الأفكار اليسارية التي طبعت نقاشات النخبة التونسية للعقود الماضية، رافضة التحزب رغم انخراطها بعد 2011 في حزب سرعان ما انسحبت منه. كانت بسمّة تفضل الحشد السياسي لمواجهة خطر تغيير النموذج المجتمعي أو القيم اللائكية. لذلك تجندت إبان الثورة مع القوى الحدائية لمواجهة المجموعات السلفية التي شكلت خطرا حقيقيا على التوازن السياسي والمجتمعي والثقافي للبلاد. فقد أحست مع رفاقها أن النموذج المجتمعي التونسي والذي بقي لعقود بمنأى عن التهديدات، أصبح في دائرة الخطر.

ومع نتائج أول انتخابات ما بعد الثورة التي تكبدت خلالها القوى اليسارية خسارة، اتخذت بسمّة مسافة من التحركات السياسية لمحيطها لتسخر جهودها للقضايا الكبرى التي زعزعت أمن البلاد كالأحداث الإرهابية والاغتيالات السياسية.

لا مناورة مع القيم الحدائية

في ما بين سنتي 2011 و2013، شكلت صورة وموقعا لها بمشاركتها في كل المظاهرات أين نراها في صفاقس، مدينة إقامتها أو العاصمة محتجة وغاضبة في مواجهة من يشكلون خطرا على القيم التي تؤمن وتمسك بها. لا تكتفي بالمشاركة فقط، بل

تحت النساء والشباب على الانخراط في إدارة الشأن العام وعلى اتخاذ موقف مما يحدث. وتبدي بسمته امتعاضا من الفعل السياسي رغم اقتناعها بجذواه ذلك أنها تراهن على اتحاد القوى الحداثية، التي أبعدها تشتتها وانقسامها عنها حتى فقدت الأمل، لتوجه طاقتها نحو خدمة قضايا أخرى.

المنعرج الأساسي في انخراط بسمته في الشأن العام كان عودتها إلى الجامعة والتحاقها بكلية الحقوق. هناك اكتشفت، بفضل احتكاكها بالطلبة حقائق ووضعيات لا مجال لمقارنتها بجيلها من طلبة سنوات التسعين الذين يجهلون كل ما يحدث في البلاد رغم غليانها ولا يهتمون بالحياة الثقافية والجمعياتية لتتصدم «بتصحر ثقافي» كما عبرت عنه. لذلك قررت بعث نادي الفنون السبعة داخل الجامعة وساعدها في ذلك سنها وانتمائها إلى جيل سابق بتكوين مختلف، لتفتح أبواب الجامعة أمام هياكل المجتمع المدني. كانت تلعب دور الوسيط بين الطلبة والأساتذة بملاحظتها الهوة فيما بينهم، خاصة أن بعض الأساتذة حسب وجهة نظرها، تقوقعوا في عوالم جيلهم ولا يبادرون بإيجاد سبل تفاعل مع الطالب والطالبة خارج الفصل.

خلقت النوادي والأفلام والمسرحيات ديناميكية من حولها بإقبال الطالبات والطلبة عليها ليكبر العدد وتمتد الأنشطة من المحلي إلى الوطني إلى الدولي، رغم أن المجتمع المدني لم يكن مرحبا به داخل أسوار الجامعة. فأجواء ما بعد الثورة «الضارة» انفجرت من حولها بمواقف طلبة وطالبات متأثرين بالمد السلفي ومحتجين بطرق مختلفة على أنشطتها. استماتت بسمته في مواجهتهم وحشدت الطلبة للوقوف في وجه هذا المد الظلامي. طلبة تفاعلوا معها ذلك أنها لم تسع أبدا إلى إملاء قراراتها عليهم أو خنق طاقتهم في إطار الأنشطة التي تمارسها، بل إن دورها يتمثل في التنسيق والحشد والتعبئة وبلورة التوجهات الأولى، ليتولوا بأنفسهم التنفيذ.

لم تبق أنشطتها داخل أسوار الجامعة، بل خرجت بها إلى أطر أخرى لتكون جسرا بين الطلبة والحياة العامة، وها هي قد نجحت في اتخاذ موقع على مواقع التواصل الاجتماعي ما جلب لها الإعجاب بصفة تلقائية في أوساط متعددة حتى أنها تعجبت من متابعة حرقاء مكتبتها لها على تلك المواقع.

ازدادت شهرتها في صفاقس بمشاركتها في كل المظاهرات وبصورة تنافلتها وسائل التواصل الاجتماعي لتلك المرأة المبتسمة وهي تحمل علم تونس على أكتافها. دعيتها وسائل الإعلام المحلية والمركزية للحديث في مواضيع حارقة كالاغتيالات السياسية، المساواة في الإرث، العنف المسلط على النساء... وعبر بعض الصحافيين عن إعجابهم بسحر كلماتها وبصدقها وهو ما يقال لها دائما في كل مجالات نشاطها، في إشارة إلى التزامها وتميز خطابها واختلافها عن بقية المتدخلين في الإعلام. وكثيرا ما تتلقى رسائل للتعبير عن «الإعجاب بطريقتك كلامها وتحاليلها المختلفة عن البقية التي تجتر في كل مرة الخطاب نفسه إلى حد الملل».

تعرف بسمته كل صغيرة وكبيرة في صفاقس وتصلها أخبارها من كل مكان. صفحتها على الفيسبوك بمثابة «غرفة رجع الصدى» التي يتابعها الآلاف ويلقون على تدويناتها، مما جعلها تخوض في قضايا مهمة جدا، لاحظت عدم المام متابعيها لها بالقدر الكافي، على غرار قضية المساواة في الإرث. بفضل لهجتها المحلية البسيطة التي لقيت تفاعلا، حتى في الفضاء الواقعي، كثيرا ما تلجأ إليها أخريات للمشورة أو لطلب معلومة حول الانخراط في الجمعيات أو بعثها.

كل ذلك جعل بسمته شخصية مؤثرة، نسجت من خارج «الصناديق المألوفة» والمتعارف عليها وبعيدا عن الخطابات النمطية، فهي سرعان ما هجرت الأحزاب لتدافع عن القضايا التي تؤمن بها في فضاءات مختلفة وبخطاب متميز مع انفتاح على الآخرين المناهضين للعنف والظلامية. فبسمته تدافع بكل شراسة عن قيم الحداثة دون عنف أو عداة إيديولوجي، وبصدق بعيد عن السذاجة والسطحية وقد ساعدتها دراستها القانون على بلورة خطاب تشكل المعرفة نقطة ارتكازه الأولى.

لم تكن بسمته قدوة للطلبة ومتابعيها ومغيرة لواقعهم فحسب، إذ تأثرت ابنتها بها وساعدها شغفها باللغة الإنجليزية على دخول عالم المجتمع المدني وتبادل الخبرات مع بسمته في هذا المجال لتتقل لها تجربتها وفي ذلك أيضا خاصية من خصائص المرأة القيادية والمؤثرة التي تتميز بها.

الأمينة على الأصالة والتراث



فاطمة الصامت

احترق مشغلها أيام الثورة ذلك أن كل مشغل في ذلك الوقت كان يعتبر داخل منظومة الحكم السابق. تحاول الوقوف مجددا رغم أن تغييرا كبيرا حصل على مستوى سلوكيات الناس. فالكلي يعتبر نفسه «زعيمًا» حتى عندما ندم من أضرموا النيران في المشغل وحاولوا إطفاءها بماء البحر القريب منه واستنجدوا بالحماية المدنية لإخماد الحريق الذي كاد يتسبب في كارثة لو بلغت النيران المحول الكهربائي. كل شيء ضاع واستوى بالأرض ما عدا حماسها وقوة عزميتها خاصة أن بضاعتها كانت في المعرض طيلة عشرة أيام وحقت أرباحا لم تحققها من قبل.

لم يحل رفض والدها دون التحاقها بالفنون الجميلة فور تحصلها على البكالوريا، فكانت أول فتاة في حيها تتجه نحو هذا المجال سنة 1973. ذلك أن التدريس في رأيه كان المهنة المناسبة للفتيات. فالتجهت أخواتها إلى مجال التعليم باستثناء أختين التحقتا بالفنون الجميلة أسوة بها.

ففاطمة تشبعت عيناها وحواسها منذ الصغر بكل ما هو تقليدي وتراثي من فتل الخيط والنسيج إلى ألوان غطاءات الرأس المميزة لجزيرة قرقنة إلى عراجين النخل التي تتحول بفضل أياد مبدعة إلى قفاف وشبك وحبال... إلى مجسّدات «الرقمة» و «الضوطة»... كلها صور رسخت في ذاكرتها منذ الطفولة لتكبر في مسارها وتتحول إلى مبادرات وفن وإبداع.

كما ورثت فاطمة شغفها «بالخيط» من جدتها التي كانت مغرمة بغزل الصوف، وأمها التي لطالما تسلّحت بالمقص والخيط والإبرة لحياكة أو إعادة حياكة شيء ما.

دكتورة وحرفية وفنانة وصاحبة مشروع

عملها في الإدارة وتحديدا في مشروع تجديد الصناعات التقليدية وتحديثها بدعم من الاتحاد الأوروبي سنة 2009، كان حافزا لها لبعث مشروعها الخاص. ففاطمة الجامعية اصطدمت بالعراقيل وبالإدارة المغلقة. فحاربتها ليلا نهارا ولم تقبل الإمضاء على وثائق لا تتمكن من تفاصيلها وكانت تضع شروطا لتنسيق المشروع. ومع رحيل الوزير الذي عملت معه، قرّرت الاستقالة، وصحبة متصرف شاب، بعثت شركتها الخاصة في نفس السنة لتتطلق في العمل على مستوى كبير وفي العمق في جزيرة قرقنة التي تعرفها حق المعرفة. تسلّحت بتجربتها فيها منذ كانت طالبة فنون جميلة وترى في نفسها حرفية بأتم معنى الكلمة. «رسالة الدكتوراه، كانت عن قرقنة الصيادة وقرقنة النساء وقرقنة التطريز وعروض الطيارية (وهي غطاء شعر تقليدي)».

كوّنت فريق «طيارية» مع مجموعة من المصممين الشبان وأقاموا عرضاً لمدة أربعة أيام دون انقطاع. تقول : «كان الحضور فوق الخيال... عملنا على الصبغة بمقاربة مدروسة وفتحنا طريقاً للتصدير. هناك أجانِب قلدونا لكنهم لم ينجحوا. سجلنا أشياء كثيرة حول الصبغة والطيارية».

أحدثت فاطمة في «الطرف» (غطاء للرأس أيضاً) ثورة مهمة، وانطلقت باللون الأحمر ومنه إلى الأزرق فالأسود مع احترام خصائصه. تقول «لو كانت جدتي على قيد الحياة ولا تقنية لها مما نستخدمه، لوصلت إلى نفس النتيجة رغم أنها لم تكن لتستخدم خيوط النايِلون في التطريز». تعلم بناتها لا تنسيق الألوان فحسب، بل كيفية إدراج ألوان إضافية خاصة منها ما يحيل إلى ضوء النهار في القماش ويسمى ذلك «بالتبييض». وبعدها تتركهن أمام إبداعهن مع رفض إدراج الزهور التي لا تعتبر من الإرث الثقيل في القوائم على الرسوم المجردة، فالأسس يجب أن تكون القاعدة لكل «لوحة إبداعية» تمثل الهوية المحلية.

عملها السابق في ديوان الصناعات التقليدية، مكّنها من زيارة كافة أنحاء البلاد والاطلاع على عمل الخياطات خاصة في جبنات (من ولاية/محافظة صفاقس). تقول «بعد عودتي من فرنسا قسمت وقتي بين التدريس ومرافقة الخياطات في الجهة. فالنساء في قرنة لا ينسجن، بل يزخرفن بالتطريز بتقنية «الرقمة» وكل من تحذقها هي عبارة عن امرأة تحمل حاسوباً في رأسها». ثم إن المسألة بالنسبة إليها خطاب أو تواصل هوية الأجداد والجداَت.

وعن «الطيارية» تستحضر فاطمة قائلة : «جاءتنا من طريق الحرير عبر المتوسط، فسميت «الهندية» اعتباراً لجذورها، واستخدمها التونسيون بشكل جيد ولم يكونوا آنذاك منتجين لها. وبعد الثورة الصناعية، هاجر تاجر يهودي إلى سويسرا ومعه الطيارية، وعندما عاد إلى تونس، حوّلها إلى إنتاج صناعي بتطريز رقمي وقماش من القطن... في صفاقس تستخدمها النسوة في الأعراس، أما في قرنة، فتزين بها النسوة يومياً منذ أصبحت تصنع من القطن وتباع بأسعار في المتناول».

تؤكد فاطمة تأثيرها على نساء أخريات، فهي تختار من لهن مؤهلات من ضمن من يتقدمن للعمل معها وتصلقها وتوجهها نحو الاتجاه الصحيح. لقي البعض

منهن في البداية صعوبة في التأقلم معها، لكنهن نجحن في فرض أنفسهن بفضل إتقانهن المهام المنوطة بهن. نجحت أربع منهن في الإشراف على النساجين وتقييم جودة العمل دون القيام به بالضرورة. وهن واعيات بأنهن بصدد إحياء تراث مهدد ويقبلن على ذلك بشغف. فاطمة تعرف كل النساء اللاتي تشتغل معهن أو قدّمت لهن تدريباً، تتراوح أعمارهن بين 16 و70 سنة ويحصلن على شهادة تدريب حرصت فاطمة على إدراجها ضمن دوراتها التدريبية. وحال حصولهن على الشهادة يطرزن في بيوتهن، وحتى أولئك اللاتي انتقلن إلى مدن أخرى، لم ينقطعن عن التعامل معها، إذ يواصلن التطريز ويرسلنه أو أنهن يتنقلن بأنفسهن لتسليمه.

إحياء الموروث التقليدي وتثمينه

تعتقد فاطمة اعتقاداً راسخاً بأهمية العمل الجماعي ضمن فريق متكامل وأنها لوحدتها لا يمكن أن تصل إلى تحقيق أهدافها. من ذلك مشروعها الثاني المتمثل في ورشة النخيل حيث جلبت طلبتها من صفاقس للعمل دون هوادة ونظموا معرضاً بحضور الوالي (المحافظ) الذي لم يتوان في تخصيص مبلغ لما اعتبره «فكرة مبتكرة وجميلة».

واصلت فاطمة دراستها في باريس لتغيّر «مسارات العديد من طلبتها» الذين تنبهوا إلى طريقهم بفضلها. فقد كانت رئيسة قسم بمعهد الفنون الجميلة وساعدت العديد من الطلبة على بعث مشاريعهم الخاصة. ولم يقف التأثير عند هذا الحد، بل تعداه إلى أحد الوزراء الذي انبهر بعرض أقامته في صفاقس... وبعد حديث قصير معه، بعثت معاهد الفنون الجميلة بخمس ولايات أخرى وبفضلها «تم إنقاذ الصناعات التقليدية من الارتجال وتخرج جيل من الحرفيين المبتكرين وكنت أول من بعث سوقاً للصناعات التقليدية يخص منتوجات النساء، (بالشراكة مع ديوان الصناعات التقليدية) وأصبح اليوم متميزاً ومثمناً» كما تؤكد فاطمة.

لم تقدر فاطمة على تحديد درجة التأثير أو التغيير الذي أحدثته في محيطها، لكنها تؤكد أن وفاءها لجذورها جعلها مؤثرة محدثة تغييراً على حرفة تقليدية أعادت إحياءها وتثمينها. تقول «لقد نجحت في خلق طاقة وشحنة من حولي تأثر بها الآخرون بعد أن استهانوا بالمشروع في البداية، أما اليوم فكل ما أقترحه يرحبون به».

ابنة الميدان



قمره النابلي

هي ابنة جبينانته من ولاية صفاقس عاصمة الجنوب، أستاذة لغة عربية وأم لثلاثة أولاد. نشأت قمره في عائلة متواضعة، أبوها كان متسامحا وصلبا في ذات الوقت. في المقابل، كانت أمها صدامية وصريحة للغاية أيًا كانت الظروف حتى أمام من يمثلون السلطة. ورثت قمره من أمها هذا الجانب وإن بنسبة أقل، فهي تجاهر بما تفكر، تقول «حتى إن كان ذلك لا يخدم مصالحنا أحيانا، فإن تكون ناشطة في المجتمع المدني يستوجب ذلك قليلا من الحذر والتوازن في المواقف، لكن هذا لا يحول دون غضبي واندفاعي الصادق وهذا ما ورثته عن أمي».

تقر قمره بتأثيرها منذ نعومة أظافرها بأصغر أخوالها الذي أطرها هي واثنين من أبناء خالاتها. كان معلما وعضوا في الحزب الشيوعي وقضى فترة في العراق في الثمانينات. فهو من علمها أسس الثقافة السياسية سنوات الديكتاتورية، وأطلعها على نصوص وبلاغات شيوعية في علاقة بالأحداث آنذاك. وكان متفردا في جهته بقراءاته وذوقه الموسيقي وطريقة عيشه، الأمر الذي جعله مصدر فخر لقمره ورجلا أنموذجا أثر فيها.

بعد الثورة، انخرطت سويا في المجتمع المدني رغم الاختلاف السياسي «الطفيف» بينهما، ولم يكن يتردد في الإصداق بحقيقة افتخاره أن كانت إلى جانبه. وقادها تأثرها بخالها وبمدرسة لها بالمرحلة الابتدائية، إلى بلورة مشروع حياتها في التدريس. وتزوجت بعد 5 سنوات من انتدابها في التعليم، من صديق طفولتها. يحترم خياراتها والتزاماتها.

الإنجاز «جسدا وروحا»... والقيادة قيما

تقر قمره بطبعها الاندفاعي. «فيكفي أن أعتقد أنه عليّ فعل شيء حتى أقبل على إنجازه جسدا وروحا». في المقابل، حتم عليها التدريس إحساسا بالمسؤولية. تقول «أقف أمام شباب يعتبرني مصدر معلومة، يجب أن أكون في مستوى انتظاراته لكن بالتوازي يجب أن أثمر له قيما كالمواطنة وعدم الاستغلال...». فهي تعتقد أن القيادة تعني قيما تحفظ بعيدا عن الانتماءات والولاءات السياسية، لكنها لا تخفي انحيازها في حياتها المهنية والاجتماعية لقناعاتها في مواجهة بعض الإشكالات. فيحدث مثلا أن ترد الفعل بصفة شخصية أمام مسألة نقابية بالمعهد، وتوضح في هذا الصدد: «ثقة من يحيطون بي مهمة لدي وأنا أكره التحرك بحسابات والكيل بمكيالين لاعتبارات سياسية». وبالنسبة إلى قمره، لا تتعارض القيادة مع الانتماء إلى هياكل ممأسسة كالنقابة، التي علمتها تفكيك الرهانات والمشكلات والتمكّن من طريقة الدفاع عن مصالح الآخرين.

تعود علاقتها بالنقابة إلى سنوات الجامعة فترة النظام السابق، أين كانت مناضلة يسارية متشبعة بالقيم الاجتماعية. كوّنت به رأس مال لتخرط في العمل الجمعيات في فترة أحكم النظام فيها قبضته على كل المبادرات. وباعتبارها مربّية، لاحظت الأخطار التي تحدق بالعائلة وبالطفولة، كالمعاملة السيئة للأطفال وإدمان المخدرات والتحرش والانقطاع عن الدراسة... لذلك طالبت بتكوين جمعية تعنى بمثل هذه الأخطار. ومما زاد من إصرارها، المشوار الذي قضته مع ابن لها توفّي بعد مرض عضال في المستشفيات أين اطلعت على حكايات أطفال في وضعيات هشة، فخلقت تلك الوضعيات فيها إحساسا أكبر بقضايا الأسرة والطفولة. وتبلور هذا الإحساس من خلال عملها الجمعياتي الذي مكّنها من تكوين رأس مال اجتماعي وثقافي.

شاركت في لقاءات وندوات وتعرفت إلى الأولياء والمسؤولين والباحثين الذي يقاسمونهم نفس مجالات الاهتمام. وهي واعية أن ثراء رأس مالها «لا يتوقف على شهادتها التي لا تعد الأهم في إنجاز ما تفعل، بل إن المهارات الإنسانية ومعرفة الميدان وخاصة الشغف بما تفعل هو بنفس أهمية الشهادة».

التغيير مفتاح التحرر

ولئن ارتبطت جمعيتها باسمها، إلا أن الأهم بالنسبة إليها هو ما مرّرت له عشرات النساء المنضويات فيها من ثقة في قدراتهن على الفعل وفعالية ما يقمن به خارج الأطر الحكومية. فاليوم قرابة المائة من النساء والأطفال يتمتعون بالأنشطة التي تنظّمها وتتوجه إليها الفتيات من مناطق بعيدة، خاصة الريفية منها للتدرب بعد أن غادرن مقاعد الدراسة. وها هي تمرّ المشعل لقيادات أخريات، إذ ارتأت التخلي عن رئاسة الجمعية وبعث جمعية أخرى.

تقول قمره «العمل الجمعياتي يؤثر في العقلية... فالفتيات اليوم يخرجن ويقطعن الكيلومترات ويستخدمن النقل العمومي ويأتين للتدرب، وهو ما يساعدهن على تخطي النمط التقليدي الذي يجعلهن لا يفكرن سوى في الزواج ومتطلباته... اليوم تأتي الأمهات إليّ وهن يفكرن في اقتناء آلة خياطة لبناتهن أو في مشروع صغير... وهذا هو التغيير

الأهم في نظري». وعن ارتباط الجمعية باسمها، ترجع قمره ذلك إلى رأس مال الثقة الذي بنته وحظيت به من طرف الأولياء والمسؤولين والجمعيات الأخرى وهم لطالما رددوا على مسامعها «نحن في منطقة محافظة، وهذا ليس بالأمر الهين فعلي أن أكون في مستوى انتظاراتهم. والثقة هي سر النجاح والمصادقية وإلا فلا إقبال مطلقا على ما نفعل مهما حاولنا». هذا النجاح جعل منها قائدة «رغما عنها» رغم حرصها الشديد على تشريك الآخرين. فقمره واعية بأهمية تمرير المهارات والمعارف رغم مقاومة جيل الشباب لذلك، خوفا من تحمّل المسؤولية، لكنها تتفهم ذلك على اعتبار البيئة «الخانقة» التي يعيشون فيها خاصة الفتيات. إذ لا فرصة لهن لاكتشاف أشياء جديدة محفّزة... لا نقاشات ولا بيئة ملائمة... محيطهن فقير بالمعنى الفعلي والمجازي للكلمة، زد على ذلك البطالة وغياب الموارد. ولعل هذه الظروف هي التي دفعتها إلى تدريب النساء من أجل الترشح للانتخابات البلدية، وبفضل جهودها أصبح العديد منهن مستشارات في بلدية جبنيانة.

رأس المال الثقلي لقمره ليس في اتجاه واحد كما تؤكد، فهي كثيرا ما تعلّمت من الفتيات المشاركات في ورش جمعيتها، كما أنها جابت أحياء قرى ولايتها في زيارات للأهالي ولشابات المنطقة بالخصوص. تقول «تعلمت الكثير باكتشاف حياتهم الداخلية وهذا مهم في تعاملتي معهن دون أحكام مسبقة فكل واحدة منهن تحمل حكاية أو مأساة، غيرت أشياء في حياتهن وهن غيرن طريقة رؤيتي للأشياء».

«أنا ابنة الميدان»، ترددها قمره للتأكيد على أهمية الأمر لمساندة التشريعات والبحوث. ففي الميدان توجد المعلومات التي لا تصل المسؤولين خاصة في ظل خلفيات ثقافية تفشل المشاريع والمبادرات. وهنا أشارت قمره إلى «إمام الجامع الذي يدعو إلى التمييز في الإرث، والقنوت التلفزيونية التي تغذي التفاهات، وجهل الأولياء الذين يقطعون تعليم بناتهم رغم تميّز بعضهن فقط لأن أجسادهن بدأت تبرز أنوثتهن»، وكلّها مؤشرات تنم عن رفض تحرر المرأة. لذلك على الكل العمل وفق رؤية واضحة لمشروع بناء المجتمع الذي نريد حسب قولها، وإلا فلن تنفع الجهود في تغيير الواقع نحو الأفضل.



جازية الديناري

أتحرك وفقا لما أفكر فيه وأنجد كل من يحتاجني مهما كانت العراقيل

كانت جازية سعيدة باختيارها مؤثرة من قبل المحيطين بها، وحتى من لا يعرفها بصفة شخصية. تقدّم نفسها أما لأربعة أطفال أكبرهم مصاب بمرض التوحد وناشطة في المجتمع المدني منذ 2004. انطلقت بإنشاء ناد صحي هي وزميلتها في دار الشباب بعد أن كانت ناشطة في ناد آخر وهو «نادي الرياضة والرشاقة». تقول «كنت وصديقتي بدينتين وفي غياب فضاءات رياضية، فكرنا في بعث هذا النادي. انطلقنا بفريق صغير إلى أن توسع النشاط إلى أربعة فرق يضم كل واحد منها قرابة 23 امرأة. وقد فكرنا في التوسعة أكثر لخلق فضاء عائلي لكننا لم نحظ باستجابة من المسؤولين... شغفي بالرياضة لم يخمد فأنا أسعى اليوم إلى بعث فريق نسائي لألعاب القوى».

وفي سنة 2009، اجتاحت الرديف إحدى مدن الحوض المنجمي بالجنوب التونسي (فيضانات كبرى خلفت خسائر بشرية ومادية تجند الناس لمساعدة الآخرين حتى أن زملاءها من قفصة التحقوا بالنجدة الشعبية. طالت الخسائر صيدليتها وجرفت المياه الأدوية وسيارتين عائليتين ففتحت مخزنا حذوها لتلقي الإعانات للناس، من مأكّل وغطاء قدّمها خاصة سكان مدينة أم العرايس المحاذية للرديف التي جلبت منها أيضا المياه النظيفة لشطف المياه في الأماكن المتضررة. لم تكن قد انضمت بعد إلى حزب سياسي رأت فيه الفضاء الأمثل للعمل ضمن أطر سياسية. وقد أثرت في أخريات للالتحاق بنفس الحزب. فجازية تعتبر المشاركة في صنع القرار إنجازا مهما خاصة في مجالي الصحة والثقافة، بل أكثر من ذلك فالالتزام السياسي كما تقول: «يحدد هويّة الشخص، والسياسة ضرورة إنسانية لا فرق فيها بين امرأة ورجل رغم اعتقادي أن المرأة يحركها احترامها لذاتها وكبرياؤها لتكون أكثر نشاطا».

وها هي اليوم، بعد نجاحها في الانتخابات البلدية، عضوة في المجلس البلدي في مدينة الرديف.

المضيّ قدما في ظل ثقافة ذكورية

مبدأ جازية في الحياة هو رفض اليأس والمضي قدما خاصة في ظل ثقافة ذكورية، وأي تراجع عن ذلك يعني الفشل. ورغم كل ما قامت به، لا تعتبر جازية نفسها قيادية فهي كما قالت : «تتحرك وفقا لما تفكر فيه وتوجد كل من يحتاج لمساعدتها مهما كانت العراقيل» وهو ما جذب لها حب الناس داخل الحزب وخارجه ليتقرر ترشيحها على قائمة أوصلتها المجلس البلدي. وجعلتها هذه المهمة أكثر انخراطا في فهم المشاكل وسعيا لإيجاد الحلول لها، بمسؤولية أكبر وضغط متواتر مقارنة بالعمل الجماعي.

ولجازية أخت رئيسة بلدية بمدينة مجاورة، تتشاور الأختان حول حل مشاكل الجهة. فالبنية التحتية للحوض المنجمي مهترئة وبلدياتها مكبلت بالديون حتى أنه تم إعفاؤها من استخلاصها سنة 2015 لعجزها عن تسديد الرواتب التي تبلغ نسبتها 70 بالمائة من الموازنة. تذكر جازية أيضا كيف أنها استبسلت والمجلس البلدي في إعادة مركز الشرطة الذي تم حرقه وساهمت في اقتناء بعض المعدات اللازمة لذلك، وتفاوضت مع السلط المعنية حول عدد الأعوان، لتعزيز المراقبة الأمنية في منطقتها خاصة في ظل تعرض أعوان البلدية لهرسلة من قبل السكان أثناء أداء مهامهم.

تري جازية أن أهم دور لها يتمثل في توفير المعلومة للمواطن، ذلك أن أكبر مشكل يواجهه هو وصوله إلى المعلومة التي تمكنه من الدفاع عن حقوقه. وقد لاحظت بموجب عملها في الصيدلية أن أبسط معلومة عن النظافة يمكن أن تقيه من أمراض أخرى «فما بالك في تعامله مع المؤسسات والإدارة» كما تقول. وتري أنه من دورها إرساء ثقافة الحوار والتواصل مع البلدية لضمان عيش مشترك وسلمي.

تواجه جازية صعوبات تتعلق بوضعية المرأة في الجهة رغم التشريعات المتطورة في شأنها. لذلك فهي تنتهج، استراتيجية عدم الاستسلام والتسلح بالنصوص القانونية وكذلك دعم الفتيات. فقد أثرت في عديد الشابات اللاتي حذون حذوها في العمل الميداني وفي المشاركة في الشأن العام، وقد واجهن مشاكل في استماتتهن في أن يكن فاعلات ومع ذلك نجح عدد منها في الانتخابات البلدية سنة 2018.

في سنة 2010، كانت ضمن مبادرة بعث فرع الرديف للجمعية التونسية للنهوض بالصحة النفسية، هي وزوجها الطبيب وكوادر محلية بدعم من أساتذة علم نفس من تونس والمهدية. وجاءت هذه المبادرة بعد الوقوف على ضعف الاعتناء بمرضى التوحد وغياب هياكل مختصة في الولاية (المحافظة). لم يكن الأمر سهلا إطلاقا لعدم توفر البنية التحتية لتأمين إعادة التأهيل واقتناء المعدات. واضط بعض الأطفال على القدوم من معتمديات مجاورة فيما انقطع آخرون نظرا إلى طول المسافة وعدم توفر وسائل للنقل. ومع ذلك نجح الفريق في إعادة إدماج 20 طفلا، فقد وفروا أخصائيين في إعادة التأهيل وتعليم النطق وغيرها من الكفاءات المرتبطة بمرض التوحد.

تنتمي جازية إلى عائلة مكوّنة من ست بنات وولدين، شجعهم والدهم، رغم أنه أمي، على مواصلة تعليمهم ليشغلوا اليوم مراكز مهمة. كان أبوها خلافا لإخوته المحافظين، متفتحا ربما بحكم أنه كان لاعب كرة قدم متميز في الفريق المحلي، وكانت أمها ربة بيت تشجع بناتها على الدراسة حتى لا يكون حالهن كحالها. وبفضل هذه العقلية ودعم الوالدين ولحمة الإخوة، كانت جازية آنذاك ضمن أول دفعة للمتحصلات على البكالوريا والمتكونة من 16 فتاة في أم العرايس بقفصة. كانت تهوى الشعب العلمية فتوجهت إلى الصيدلة ذلك أن الأقارب لم يشجعوها على الالتحاق بكلية الطب. فمهنه الطبيب في نظرهم مضيعة خاصة المناوبة الليلية.



صوفية الزناتي

قيادة على خطى جدتها وأبيها

كانوا ينادون جدتها «المستيرية»، نسبة إلى مدينتها المنستير (مدينة ساحلية في وسط البلاد)، إحالة إلى شهرتها في منزل بورقيبة (مدينة ساحلية في الشمال) باعتبارها قابلة دخلت كل البيوت. قدمت جدتها إلى هذه المدينة الساحلية الشمالية وسرعان ما كان لها تأثير فيها وحازت على احترام أهلها. كانت كلما دخلت بيتا إلا وحثت النساء والرجال على المقاومة والدفاع العلم التونسي، وكلما جنت مالا ساعدت به لشراء الأسلحة زمن الاحتلال. كانت الجدة أول النساء اللائي امتلكن سيارة في المدينة نقلت فيها الزعيم الحبيب بورقيبة خارج البلدة بالسفساري (لباس نسائي تقليدي تونسي) في زيارة له في منزل بورقيبة في الخمسينات. والدها شديد الحزم، أنشأ أبناءه على تحمل المسؤولية وعدم التذمر حتى عندما قرر الإخوة ومعهم صوفية الانخراط في العمل السياسي، كان يقول «لن أ تدخل في شؤونكم فقط إذا ما احتجتم محاميا سأكلفه». كان مناضلا من الرعيل الأول ودخل السجن جراء قبوله خطة عميل مزدوج كشفه المحتل وعرف الزعيم بورقيبة في بيت جدها. وبعد أن بعث مشروعه الخاص، المخبرة، أجبر أبناءه على العمل في العطل نظير مصروف الجيب. لذلك فإن صوفية تقدس العمل أيا كان حتى العمل اليومي رغم أنها أصبحت أستاذة جامعية. فقد علمها والدها «أن خدمة النهار (العمل اليومي) ما فيها عار (لا تجلب العار) لأي كان». ورغم حزمه، كانت ثقته في زوجته لا متناهية في تربية أولاده العشرة واتخاذ القرارات في شأنهم وإدارة المنزل و«الحمام الشعبي» الذي شيده لها. كان يطلب منها المال وهو يدرك أنها لن ترفض ولن تناقش سبب طلبه. وتقول عن والدتها: «عندما نحقق نتائج طيبة في الدراسة، يطالها الإطراء». وكان والدها يصطحب أمها إلى السينما وإلى الحفلات الموسيقية كحفلة أم كلثوم، كما سافرا إلى بلدان كثيرة ما عدا فرنسا مبررا بالقول: «لم نطردهم من بلادنا حتى أزورهم».

مؤشرات تمرد وتمييز منذ الصغر

لا ترى صوفية في مسارها الدراسي استثناء فقد تمسكت باللغة الفرنسية لكنها تعترض بعملها الميداني في إطار أطروحة الدكتوراه التي كشفت لها بؤس الناس وبؤس النظام التعليمي في تلك الربوع في آن. «يرسلون إلى هؤلاء، الناس الأقل كفاءة مما يكرس بؤسهم» كما تقول.

ومنذ صغرها، كانت لها مؤشرات تمرد منها ما حدث لها في الكتاب «المدرسة القرآنية» عندما ضربها المؤدب أكثر من مرة، فما كان منها إلا أن غادرت المكان وقذفته بالحجارة. وقضت سنة كاملة في اللعب مع الذكور في الشارع دون أن تخبر أمها السبب وإلا كانت ألقت اللوم عليها وأمرتها بالامتنال للمؤدب حتى إن ضربها.

كانت معجبة جدا بأختها التي كانت تدرس في مدرسة الراهبات بلباسها الوردى وحديثها بالفرنسية لتلتحق بها فيما بعد، وتم فصلها بعد أن دفعت بطالب فرنسي من أعلى الدرج انتصارا لأختها. تفاوض أهلها مع مدير مدرسة أخرى لكنه رفض قبولها لأنها لم تبلغ السادسة بعد، فأصرت على الذهاب أول يوم من السنة الدراسية فقبلها. ولما اصطف التلامذة أمام الفصل، لاحظت تلميذا منفردا في آخر أحد الصفوف فانضمت إليه. ذاك التلميذ الذي أصبح فيما بعد مناضلا يساريا معروفا وأول شهداء قمع نظام بورقيبة في السجون سنة 1978. كان رفيق درب لأنهما درسا حتى الجامعة سوية لذلك لا تتوانى صوفية في تدريس قصائده في المعهد تخليدا لذكراه.

في الاختلاف نعمة

لعبت صوفية دورا كبيرا في نسج علاقات صداقة مع الكل وفي تقوية العلاقات بين أبناء العم وأبناء الخال من الجيل الجديد رغم اختلاف أفكارهم وتوجهاتهم. كما تحرص على مساعدة الكل ماديا دون حساب أو حتى انتظار مقابل. وهذا ما ورثته عن أبيها الذي لم يطالب يوما بأي شيء نظير نضالاته وواجبه تجاه وطنه. وقد خلف لها رأس مال لا مقابل له في المدينة، حيث يمكن لها أن تحوز ثقة الكل دون استثناء. فلوالدها أفضال على الكل «ما عدا أبناءه فقد كان يرفض التدخل لفائدتهم في حين يستमित في حل إشكالات بقية الناس» حسب قولها.

تأثرت صوفية بأبيها شديد التأثير حتى عرفت بـ «فرج الصغير» وقد تأثر بدوره بأمه المتحررة. كان حنوناً ومتفهماً للغاية، إلا أنه لا يقبل التذمر. يساعد أبناءه ويشجعهم كل التشجيع حتى عند الفشل... عمل كثيرا وأحيانا أكثر من عمل في اليوم ومع ذلك يخصص وقتا للاستماع إلى مشاغل أطفاله.

السينما والرياضة والسياسة،

تشكل شخصية قيادية

أثرت نوادي السينما في صوفية منذ التعليم الثانوي إلى اليوم خاصة أنها اعتبرتها منذ الالتحاق بها أول مرة «فضاء ثقافيا استثنائيا» نظرا إلى أنواع الأفلام

ومند صغرها، كانت لها مؤشرات تمرد منها ما حدث لها في الكتاب «المدرسة القرآنية» عندما ضربها المؤدب أكثر من مرة، فما كان منها إلا أن غادرت المكان وقذفته بالحجارة. وقضت سنة كاملة في اللعب مع الذكور في الشارع دون أن تخبر أمها السبب وإلا كانت ألقت اللوم عليها وأمرتها بالامتنال للمؤدب حتى إن ضربها.

كانت معجبة جدا بأختها التي كانت تدرس في مدرسة الراهبات بلباسها الوردى وحديثها بالفرنسية لتلتحق بها فيما بعد، وتم فصلها بعد أن دفعت بطالب فرنسي من أعلى الدرج انتصارا لأختها. تفاوض أهلها مع مدير مدرسة أخرى لكنه رفض قبولها لأنها لم تبلغ السادسة بعد، فأصرت على الذهاب أول يوم من السنة الدراسية فقبلها. ولما اصطف التلامذة أمام الفصل، لاحظت تلميذا منفردا في آخر أحد الصفوف فانضمت إليه. ذاك التلميذ الذي أصبح فيما بعد مناضلا يساريا معروفا وأول شهداء قمع نظام بورقيبة في السجون سنة 1978. كان رفيق درب لأنهما درسا حتى الجامعة سوية لذلك لا تتوانى صوفية في تدريس قصائده في المعهد تخليدا لذكراه.

كانت صوفية تلميذة متميزة وملتزمة في ان واحد، وتعترف أن سلوكها كان أقرب الى سلوك الذكور: كانت متواجدة في كل مكان ومع كل الناس، تجول المناطق المجاورة على متن دراجة هوائية مع أصدقائها. حتى الأساتذة الذين تعتبرهم أصدقاء هم من الرجال ما عدا واحدة استوعبت مراهقتها وقبلتها كما هي ذكية ومتميزة وملتزمة ومشغوبة في ذات الوقت. كما كانت أكثر قربا من إخوتها الذكور ترافقهم دائما وتقوم معهم بكل أشغال الإصلاح في المنزل.

«لست مزاجية... لكنني متمسكة بالمبادئ»

لا تعتبر صوفية سلوكها تمردا أو مزاجا، بل تعتبره تمسكا بالمبادئ. وهو ما ورثته عن والديها. تقول «هما لا يقبلان البتة ألا نحیی من هم أكبر منا سنا في الشارع أو ألا يساعد من هم في حاجة إلینا».

مشكلاتهم حتى بتبادل الحديث معهم الذي يطال أحيانا المسائل السياسية وقد أقنعت فتيات بمغادرة أحزاب لا تدافع عن حقوق النساء». ومع ذلك، تحسن صوفية التعايش وحتى نسج علاقات مع من لا تتقاسم معهم نفس التوجهات على غرار زميل لها إسلامي التوجه، لكنها ترفض مناقشة السلفيين رفضا تاما.

وحتى داخل الفصل، تحرص صوفية على اختيار نصوص محفزة على التفكير والتساؤل والشك إلى درجة أن إحداهن خلعت الحجاب وتعرضت للعنف من أخيها في بهو المعهد ومن أبيها في البيت، فما كان من تلميذات أخريات إلا مناصرتها وتوفير السكن لها وهي اليوم مسجلة بالماجستير، بعد معاناة كبيرة. فصوفية لا تدرّس ما يطلب منها تدريسه. توضح «أنا أفكر خاصة في طرق تعليم جديدة استئناسا بأدلة التعليم ومناهجه». وهذا ما دأبت عليه منذ صغر سنّها: «التفكير في الدعايات» كما حصل معها مثلا عندما التحقت بنشاط سياسي غير مرخص فيه أو «سري» لتفكر في كل احتمالات نشاطها.

وكذلك فعلت في الجامعة عند التحاقها «بالخليفة النقابية المؤقتة» السرية التي انطلقت سنة 1980 وتواصلت حتى زمن الرئيس زين العابدين بن علي. تم إيقاف صوفية لمدة 9 أيام قبل عرضها على المحكمة. هرع والدها والمحامي لتحصل على حكم 3 أشهر مع تأجيل التنفيذ وخطية مالية. سألتها أبوها إن كانت مقتنعة بما تفعل ولما أومأت بالإيجاب أردف «لو قلت غير ذلك، لأعدتك إلى السجن بنفسني».

نجحت صوفية في الانتخابات البلدية الأخيرة التي شهدتها تونس سنة 2018، وذلك عبر ترشحها ضمن قائمة مستقلة كوّنتها هي. وهي اليوم ترأس لجنة الثقافة ببلدية منزل بورقيبة. وبين الرياضة والسياسة والسينما الملتزمة وتكريس قيم المواطنة في الشباب، وعائلة متحدة، تقضي صوفية حياتها لتكون رأس مال أصبحت بفضلها شخصية مؤثرة في حياة الآخرين على خطى أبيها وجدتها.

التثقيفية التي تعرض فيها والنقاشات حولها. لذلك حرصت على تأطير مجموعة من الشباب قاموا بدورهم ببعث ناد للسينما ينشط عبر عديد الفعاليات وعروض الأفلام ومناقشتها. أندية الرياضة التي انخرطت فيها تعد هي أيضا فضاءات تعارف بين الجنسين، فقد كانت مختلطة يتعاون فيها الشبان والشابات على إتقان الرياضة خلافا لما يحصل اليوم، وهي تتعجب من غياب هذا التعاون. وقد علمتها الرياضة ثم السياسة التفاوض الجيد والناجع مع الذكور.

صقلت الرياضة موهبتها في القيادة «بفضل شخصيتها الصلبة» كما تقول، وكانت هي قائدة الفريق، الفتيات يأتھرن بأوامرها ويقبلن غضبها وتسلطها أحيانا لأنهن يدركن أن ذلك يصب في مصلحة الفريق. وخارج أوقات المباريات أو التمارين، كانت صوفية تحرص على دعوة كل الفريق إما إلى نادي السينما أو إلى حفل لتكريس روح اللھمة في صفوف الفريق.

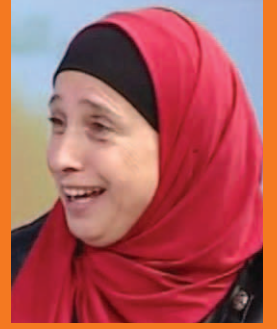
هذا الفريق الذي حاولت بعد الثورة استقطابه في إطار جمعية الثقافة والمواطنة التي بعثتها مع أعضاء آخرين. فكرة دفعت إليها بعد أعمال التخريب والتكسير التي لاحظتها أيام الثورة والتي طالت كل المؤسسات والمنشآت. فكان العمل على المأسسة والقوانين والمواطنة ومع الشباب الذي اكتشف القائمون على الجمعية، أنهم يجهلون الكثير عن بلادهم. نظمت الجمعية رحلات دورية إلى مواقع أثرية عديدة وسخرت مختصا في كل واحد منها ليقف الشباب، من الجنسين ومن مستويات مختلفة، على ثراء تاريخهم ولیدركوا أن البلد غني بما تعاقبت عليه من حضارات.

وهو ذات الشيء الذي تحرص على القيام به مع طلبتها، فهي منصتة جيدة لكل مشاغلهم ومشاكلهم، تقول «هم يحبونني ويجلونني لهذا السبب». وغالبا ما تكون مشاكل الذكور مرتبطة بالمال، ومشاكل الإناث متأتية من الضغوط العائلية. تقول «أسعى إلى حل أكبر عدد من

نساء قيادات من الأردن



لا معنى للحياة دون سيادة العدالة الإنسانية



سهام التعمري

سهام التعمري، رئيسة جمعية بشائر النور الخيرية بالأردن، ناشطة مجتمعية وامرأة مؤثرة في بيئتها المحلية بمحافظة مادبا. بدأت مسيرتها نحو القيادة والتأثير سنة 2003 عندما اتجهت إلى العمل كمدربة لفائدة المجتمع المحلي وإلى تأسيس جمعية تهتم بذوي الإعاقة قصد تحقيق اندماجهم الاقتصادي وكسر الصور النمطية والسلبية المرتبطة بهم. وجدت سهام في مصدر رزقها ما يتناسب ووضع ابنتها ذات الإعاقة فكانت تأخذها معها دائما في كل مهماتها لتجد الدعم والتشجيع من العاملين معها.

اشتغلت في مجال التدريب مع عديد الهياكل والأطراف، فكانت البداية مع الطالبات في المدارس، وكرست جهدها في مساعدة اللاجئين السوريين على مواجهة ظروفهن وتمكينهن اقتصاديا وتعزيز مشاركتهن سياسيا. فعملت في مركز البرامج النسائية بأحد المخيمات، واشتغلت مع منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) في مجال تمكين النساء اقتصاديا وسياسيا. تجربة سهام الثرية امتدت لتشمل أيضا عملها ضمن برنامج تمكين المرأة في وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا)، وجمعية الكنائس لإغاثة اللاجئين، وتقلدها عديد الوظائف والخطط ومنها مديرة مؤسسة للقروض الصغيرة، وميسرة برنامج الصحة الإنجابية واليا فعين في المجلس الأعلى للسكان. نشاط سهام المتنوع واهتمامها الخاص بقضايا النساء، مكّنها من تمثيل الأردن في عديد المؤتمرات.

عملت سهام لفترة في الكويت في اتحاد المرأة الفلسطينية. هناك احتكت بجنسيات مختلفة ما أكسبها خبرة كبيرة لاسيما في مجال تمكين المرأة والطفل. التحقت في الكويت أيضا، بالحركة النسوية الفلسطينية، وخاضت معترك العمل السياسي إيماناً منها بالدور الذي يمكن أن تضطلع به النساء في هذا المجال.

التغيير يبدأ من الذات

شعرت سهام بحاجة للتغيير في نفسها وفي محيطها وسط مجتمع بدوي يرفض في المرأة قوة الشخصية وحرية الرأي والاستقلالية. تحدثت هذه الصور النمطية بجرأة واندفاع كبيرين، فرفعت قضية ميراث على إخوتها الذكور الذين حرموها حقها في الإرث. كما واجهت رفض مجتمعها لعملها في وسط مختلط بعد وفاة زوجها، طالبين منها البقاء في المنزل للاهتمام بأطفالها.

ورغم ذلك، تقول سهام عن أسلوبها في التعامل مع الآخرين «أوازن بين الشغل والبيت، لا أقطع علاقاتي الاجتماعية مع الجيران والأصدقاء، وأتعامل مع كل ظرف بوسائل اتصال مختلفة. لكن المجتمع يعامل المرأة كضلع قاصر». وتضيف «لأنني ناشطة في العمل العام، دائما ما أحتك بالمسؤولين رجالا ونساء، إضافة إلى العامة. وكل علاقاتي مبنية على الاحترام والثقة والمصادقية وحرية الرأي».

تؤمن سهام إيمانا قويا بمبدأ العدالة الإنسانية فتقول «كل شيء في مجتمعنا مبني على العدالة الإنسانية، كالحقوق والتعليم والسياسة. فالعدالة منظومة إنسانية متكاملة يجب أن تطبق كاملة غير مجزوءة». وفي تبنيها لهذه القيمة الإنسانية، تدافع سهام بشراسته عن العدالة الإنسانية لذوي وذوات الإعاقة، فنجحت مع أخريات في الدفع نحو تغيير قانون تشغيل ذوي الإعاقة بهدف تحقيق انتفاعهم من المشاريع التنموية. واتجهت في الجمعية التي أسستها إلى بعث مشغل للفسيفساء لتدريبهم وبيع منتجاتهم بهدف تمكينهم اقتصاديا عبر مساعدتهم على الانخراط في سوق العمل.

نماذج لنساء مؤثرات وملهمات

في مسيرة سهام التعمري، نساء قياديات كن مصدر القدوة والإلهام، أثرن في شخصيتها وأكسبها العمل معهن خبرة ومعرفته، منهن السياسية والناشطة في مجال حقوق النساء أسماء خضر، التي اكتسبت منها قوة الشخصية وتعلمت منها الدفاع عن حقوق المرأة، والناشطة السياسية والمنخرطة في النضال الفلسطيني عبلة أبو علبه، التي صقلت تجربتها وأثرت في شخصيتها. تقول عن ذلك «كنت دائما اقتدي بهن وأقول لا يوجد شيء مستحيل لأن لدينا إرادة ومخزون من القدرة والكفاءة يظهران وقت الحاجة».

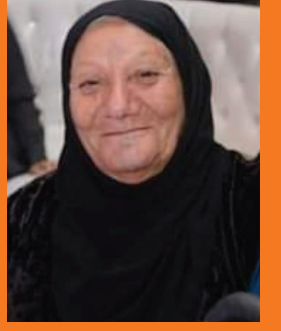
تظهر مسيرة سهام تخطيطا وتوظيفاً محكمين، فقد قررت منذ منعطف وفاة زوجها ماذا تريد أن تعمل ومتى وكيف وأين. وحددت الموارد اللازمة لذلك فتتحقق لها النجاح في التأثير والتغيير على أكثر من صعيد. تقول في هذا الصدد «القيادة مسار يجب أن تبنيه، كوني نفسك

كل يوم وابحثي عن نقاط القوة لديك، فأنا أعتبر نفسي قائدة في مجتمعي وقائدة على مستوى حياتي الشخصية، أقود من هم حولي إلى بر الأمان وأساعدهم على تحقيق أهدافهم». وتضيف قائلة «التجارب التي مررت بها أعطتني القدرة على التفكير والتخطيط الاستراتيجي. في أي عمل أقوم به، أستمع إلى آراء الأشخاص من حولي. وفي الجمعية أشارك مع زملائي في اتخاذ القرارات، إذ نتحمل المسؤولية معا. وعندما أضع الأهداف التي سوف نعمل على تحقيقها، فإنني لا أضع أهدافا مستحيلة، بل أحرص على أن تكون متاحة وموضوعية وواقعية».

تبرز هذه الصفات مهارات قيادية قائمة على القدرة على التسيير مع توظيف الإمكانيات المتاحة لاتخاذ القرارات المناسبة والفعالة الكفيلة بإحداث التغيير. تقول «كيف للقائد أن يكون قائدا دون إحداث تغيير؟ وبالنسبة لي، أستطيع القول إنني غيرت من النظرة التقليدية للمجتمع عن المرأة كونها قادرة على القيام بأي عمل. كما عملت على تمكين العديد من النساء اقتصاديا عبر توفير أعمال مدرة للدخل لهن وساهمت في دمج ذوي وذوات الإعاقة في سوق العمل. إضافة إلى ما قمت به من تدريبات لفائدة النساء حتى يكن فاعلات ويصلن إلى مراكز القرار».

وفي المقابل، تعترف سهام أن من أهم المحفزات بالنسبة إليها وأكثرها تأثيرا فيها هو «تكريم الناس وتقديرهم. فكلما شكرا أو وردة تعطيني دافعا للعمل والإنجاز... عباراتهم تجعلني أرغب أكثر في تقديم الدعم والمساندة لكل من يحتاجني». وهي فخورة باختيار منظمة اليونيسيف لها كقصّة نجاح تم توثيقها بالصوت والصورة ضمن شريط فيديو تم بثه خارج الأردن لتصبح مثالا لقدرة المرأة على التأثير في محيطها وتغيير الثقافة السائدة المكبلة للنساء.

مسيرة سهام التعمري تكشف عن مسار ثري ومتنوع من أجل تحقيق «العدالة الإنسانية» ارتبط بطموح امرأة رفضت أن تبقى حبيسة البيت، وحولت إعاقة ابنتها إلى مجال للعمل والحراك المجتمعي أرادت من خلالها، لا فقط إيصال صوت ذوي وذوات الإعاقة إلى كل فئات المجتمع الأردني، بل كذلك مساعدة النساء المعوقات في تحقيق اندماجهن الاقتصادي والدفع نحو التخلص من النظرة السلبية والوصم الذي قد يلحق الأهل.



الحاجة ختمة الطراونة

قيادية جديدة كرست حياتها لخدمة الأيتام

الحاجة ختمة الطراونة، شخصية قيادية مؤثرة ترسخت رغم وفاتها، في ذاكرة سكان منطقة الكرك (التي تقع حوالي 120 كلم جنوب العاصمة عمّان) وحتى في العديد من المناطق الأخرى من الأردن. شخصية فرضت نفسها في مجتمعها حتى أنك يمكن أن ترسم صورتها من خلال أحاديث من عرفوها وخالطوها وجاوروها وتأثروا بها وهم أكثر.

والدا ختمة كانا من وجهاء منطقة أخرى في الأردن، وهذا ما يفسر مقدار الاحترام الذي كانت تحظى به من قبل المسؤولين في الكرك. فالكمل يعرفها بدءاً من رئيس الشرطة وإمام المسجد ورئيس البلدية إلى المعلمين، كلهم يستشيرونها ويستمعون إلى رأيها حرصاً على الاستفادة من حكمته وخبرتها ووجهة نظرها. يثق الجميع في رأيها لدرجة أن القائمة التي تدعمها ختمة خلال الانتخابات البلدية، تفوز بالتأكيد.

مسيرة الحاجة ختمة كانت قاسية وصعبة، إذ ترملت مرتين ووجدت نفسها أما بالتبني لخمس أطفال هم أبناء زوجها الثاني، الذي تزوج بثانية لأنها لم تنجب أطفالاً، لكن ضررتها توفيت أثناء ولادة خامس أطفالها. مفاجآت الحياة لم تتوقف عند هذا الحد، فبعد فترة وجيزة توفي زوجها، ورفضت حينها العودة للعيش مع والديها، في ظروف ميسورة، مفضلة خدمة الأيتام وتحمل مسؤوليتها تجاه أبناء زوجها لتكون لهم الأم والأب والأهل والأقارب وتكرس حياتها وتضحى بنفسها طيلة عقود لتربيتهم ودعمهم في اختياراتهم للحياة المهنية والخاصة، وحتى نصيبها من ميراثها الأبوي اشترت به أرضاً لأطفالها بالتبني.

الحاجة ختمة رغم نجاحها في رسالتها الإنسانية خاصة مع وصول أبنائها إلى مواقع مهمة في المجتمع، عاشت على وقع صدمة فقدانها لأحدهم هو وزوجته في حريق، لتجد نفسها مجدداً أمام مهمة تربية أحفادها السبعة الذين يدينون لجدتهم بسنوات من الجهد والتعب خلال طفولتهم ومشاورهم الدراسي والعملية.

يمتّن جميع أبنائها وأحفادها لجهدنا وشقائنا طيلة سنوات من أجلهم، بين العمل في الحقول لتوفير ما يسد رمقهم، وطرق أبواب المدرسين حتى يتلقوا دروساً خصوصية مقابل مقدار من البيض والدجاج، نظراً إلى قلّة ذات يدها وإصرارها على توفير أفضل تعليم لأبنائها. يذكر أحدهم بكل تأثر موقفاً حدث ذات ليلة شتوية شديدة البرودة،

كان وقتها طفلاً صغيراً، حين أثرته على نفسها ومنحته بطاقتها حتى يشعر بالمزيد من الدفء.

كل الشهادات تجمع على الصفات الإنسانية والقيادية للحاجة ختمة من قوة شخصية وهيبة فرضت احترام كل من حولها لها حتى بعد رحيلها عن الدنيا، إلى الصراحة والفصاحة والذكاء الحاد والموهبة المتقدمة في إدارة الصعوبات والأزمات وفي التفاوض أيضاً. فالكل يقر بدورها الحاسم في الوساطة وحل النزاعات سواء فيما بين الأهل أو الأجوار.

لم تكن تحسن القراءة ولا الكتابة، لكن ذلك لم يمنعها من فك طلاسم عالم الإدارة والمشاركة في نقاش الأخبار السياسية، حتى أنها كانت تحفظ الأغاني والقصائد الوطنية احتفاء بالقضية الفلسطينية عن ظهر قلب. تداركت الحاجة ختمة هذا النقص في حياتها في وقت متأخر من خلال التحاقها بفصول محو الأمية في الكرك.

القيادة عطاء والهام

خبرتها الطويلة في الحياة العامة أكسبتها مهارات اتصالية لافتة على عفويتها، ولم تكتف بدور الأم والأب والجددة والصديقة بل كانت لها طاقة لاحتضان جميع المقربين منها والمحيطين بها، فكانت تساعد الأمهات الشابات وتهرع لاستنهاض عزيمة شاب رسب في الامتحان وتشجيعه على الاستعداد بشكل أفضل.

تأثيرها تجاوز العائلة الصغيرة والموسعة ليشمل مجتمعها المحلي. فقد كانت تطرق أبواب بيوت المسؤولين من أجل توظيف الشباب في منطقتها. يعرفها الجميع حق المعرفة: رئيس مركز الشرطة، إمام الجامع، رئيس البلدية، المعلمون والمعلمات، كلهم يأخذون برأيها ويستأنسون بمقترحاتها لأنها بالنسبة إليهم صاحبة خبرة كبيرة في الحياة

ومحل ثقة ومثال يحتذى به. وفي الانتخابات البلدية، يعرف الجميع مسبقاً أن القائمة التي تدعمها الحاجة ختمة هي التي ستفوز حتماً. وهي لا تدعم إلا القوائم المشهود لها بالنزاهة وبالحرص على تنمية المنطقة.

خبرتها في الحياة العامة وجموحها إلى العدالة بين الجميع نساء ورجالاً صغاراً كانوا أو كباراً، أكسبها ثقة كل من حولها، ويقول أبنائها إنه «كان لها سحر وقوة وسلطة لطيفة تمارسها عليهم، لدرجة طاعتها دون الشعور بأي انزعاج». فلم يتجرؤوا على التدخين في وجودها أو العودة متأخرين إلى المنزل. كما أنها كانت تتصرف في رواتب أبنائها ثم أحفادها قبل زواجهم، فوفرت لهم بفضل حنكتها نفقات زفافهم.

هذه التوليفة الغامضة لقوتها وضعفها، وكرمها وصرامتها، ونظامها وعفويتها، جعلتها شخصية مؤثرة في كل من حولها. ويتحدث أقاربها وعائلتها وأصدقاءها وجيرانها عن موهبتها في التواصل مع الشباب والأطفال والكهول وفي إثارة إعجابهم بشخصيتها، إلى جانب ما كانت تبذله من طاقة حتى مع تقدمها في السن للاستفسار عن أخبارهم، وتطور تعليم أطفالهم ولا تبخل في تقديم العون والمساعدة حتى لو لم يطلب ذلك منها.

تجاوزت شهرتها الأردن لتبلغ فلسطين والعالم العربي من خلال عدد من الفيديوهات التي بثت على مواقع التواصل الاجتماعي تظهر فيها الحاجة ختمة بعفوية وهي تلقي عدداً من الأناشيد والقصائد التي تحفظها عن فلسطين.

وحين توفيت، حضر جنازتها ستة آلاف شخص، في إجماع على ضرورة مكافأة هذه القائدة المعطاءة التي نجحت في كل شيء واختارت أن تسخر حياتها للآخرين في سبيل تغيير أوضاعهم نحو الأفضل، فكان ذلك مسك ختام رحلة امرأة قطعت مع التمثلات الرائجة حول أدوار النساء وقدراتهن.

بمقدور المرأة تغيير مجتمع كامل حولها



انتصار حرب

انتصار حرب مديرة شركة تراث مادبا لإنتاج القهوة، أو مشروع بذرة «عمتنا» والمقصود بعمتنا هي النخلة. هي أم لستة أولاد كانت ربة بيت تعتني بزوجها وأطفالها، الى أن قررت بعث مشروع لتحسين الأوضاع الاقتصادية للعائلة خاصة بعد وفاة زوجها.

كانت فكرة المشروع التي لجأت إليها هي جمع نوى التمر وصنع قهوة منها، وظلت فترة سنتين تحاول تركيز مشروعها مصرة على الاستمرار فيه وتطويره لمساعدة عائلتها وتأمين رزقها، فأسست شركتها رغم محاولات محيطها تثبيط عزيمتها وتخويفها من خطورة المغامرة في مشروع غير مضمون.

كان العديد من الناس يؤكدون لها بأن نوى التمر مضر لهذا يجب أن ترميه وأن تتخلى عن المغامرة. ولكن كان لديها قناعة راسخة بأن هذا الكلام غير صحيح. فعمقت بحثها في الأمر، وراجعت الجمعية العلمية الملكية فوجدت فوائد كثيرة في منتجها مثل البوتاسيوم والكالسيوم، ووجدت دراسة بجامعة مؤتة كانت نتائجها مبهرة، فنوى التمر تحتوي مادة مضادة للسرطان، ومع مزيد البحث وجدت أن الأجداد كانوا يطحنون نوى التمر ويضعونها مع غذاء الأبقار لتدر الحليب.

من هنا انطلق مشوارها في إنتاج قهوة «بذرة عمتنا» بآلات بسيطة في البداية وهي حماسة ومطحنتان وعرضت منتجاتها في محلات للعطارة.

لكن حدث ما لم يكن في حساباتها، فتفعل مشروعها تعطل لأن استخراج التراخيص دام فترة طويلة وكانت إجراءاته معقدة وغريبة بالنسبة إليها. وتفاجأت حين بدأت توزيع منتجها على المحلات، برفض أصحابها للقهوة بسبب بدائية تغليفها. فلجأت لشراء آلة تغليف، ولاقت فكرة التغليف استحسان المحلات فكانت نقطة للترويج لقهوتها بأنها منتج صحي كلياً.

إصرار على النجاح

وعن الصعوبات التي اعترضت مشروعها تقول انتصار: «مازلت أذكر أول شاب اشترى مني القهوة اسمه إبراهيم وهو أول زبون لي بعد خمسة أشهر من الترويج للبضاعة». وإثر الانطلاق الفعلي لمشروعها، عملت على تنظيم وقتها بين دورها في المنزل ومهمتها في مشروعها، بين متابعة فريقها من السيدات العاملات وتحفيزهن

وتدريبنهن. اذ حرصت على تشغيل نساء حتى تكن مستقلات ماديا. تقول انتصار: «منذ بداية المشروع وأنا على قناعة أنني سوف أنجح، فلا مجال للتراجع إذ أحببت أن أترك أثرا للمجتمع حولي فحسنت الوضع الاقتصادي لأسرتي وللنساء التي يعملن معي، ثم ساعدت أصدقاء أولادي في الجامعة ذوو الوضع الاقتصادي السيء، فجعلتهم يعملون لدي بدوام جزئي هم يختارون موعده، وأدفع تكاليف الدراسة عنهم لأنني أتذكر ما مر به أولادي من صعوبات مادية مشابهة في فترة من حياتنا».

وفيما يتعلق بالاستراتيجيات التي اتبعتها للوصول إلى أهداف مشروعها، فقد تلقت دورة في إعداد المشاريع من تنظيم «مؤسسة إرادة» طورت معارفها فيما يخص كيفية التخطيط للمشروع ودراسة الجدوى والسوق، وكيفية مواجهة المشاكل الطارئة التي تعلمت من خلالها التعامل مع مختلف المواقف وحلها بطرق مبتكرة، حتى وصلت الى مرحلة التخطيط لكل خطواتها وأهدافها، فهي تضع أجندة أسبوعية وخطّة لثلاثة أشهر وأخرى سنوية.

وعلى مستوى التسويق، بدأت أولا ببيع القهوة في مأدبا ثم توسعت إلى العاصمة عمان والآن تصدرها إلى لبنان ودبي وأمريكا والنمسا. وهي الآن ليست صاحبة شركة تراث مأدبا لإنتاج القهوة فحسب بل مدربة لنساء أخريات تعطينهن دورات عبر الانترنت، اقتناعا منها أن «المرأة إن فهمت الحياة ستغير مجتمعا كاملا حولها».

مهارات تتطور وتأثير يتشكّل

لدى انتصار ما غيرها من القياديات من مهارات معرفية اكتسبتها من وظيفتها مثل مهارة التحدث مع الآخرين وإقناعهم، وميزة التحلي بالصبر الذي بدأت تتقنه على حد قولها، فالمهارة تولد من التعلم فتقول: «كنت منعزلة عن الناس وأكبر اهتمامي

هو الطبخ ثم بدأت أفكر كيف سأغير منطقتي ونساء منطقتي اللاتي كنت في يوم من الأيام مثلهن، فأنا من منطقة في مادبا اسمها النديم وهي منطقة نائية نوعا ما، فغيّرت من نظرة الناس لعمل المرأة، وكنت وكأنني في حرب ولكن بفضل الله استطعت أن أشغل بعضهن معي بعد إقناع أزواجهن».

لم تتلق انتصار تعليما عاليا، لذلك خيّرت التركيز على مهارات الحياة وكيفية تعاملها مع الآخرين باختلاف توجهاتهم وطرق تفكيرهم، وهو ما ساهم في تطوير شخصيتها وتصوراتها، إلى جانب تغيير نمط تفكيرها مع التأثير في محيطها الأسري ثم المجتمعي. من ذلك أنها دعمت ابنها الأصغر للتخصص في التخطيط الاستراتيجي وأرسلته لتلقي دورات تدريبية في الولايات المتحدة الأمريكية.

أدركت انتصار أن من تستحق لقب القائدة عليها أن تغير من طريقة تفكيرها وتبدأ بالتغيير من نفسها ثم من حولها فتطور مهاراتها وأفكارها وتؤثر في محيطها القريب ثم الأبعد، فحين بدأت مشروعها بدأت تغير من أفكارها حول العمل كخروجها من المنزل الذي كانت تعارضه في البداية. كما غيّرت طريقة مواجهتها للمشاكل فبعد مشاركتها في دورة عن البرمجة العصبية أصبحت تستقبل الانتقاد السلبي بابتسامة بعدما كانت تواجهه بالبكاء. تقول انتصار: «لكل قائد أهداف لا يستطيع إلا أن يحاول تحقيقها، فكان هديّ نابعاً من داخلي برغبة في تغيير وضع عائلتي الاقتصادي ومساعدة نساء منطقتي حتى يحصلن على دخل. يجب ألا تعتمد النساء فقط على الأخ أو الأب أو الزوج بل يجب أن يطورن من أنفسهن ويثبتن وجودهن. وقد تبين لي أنني أؤثر على النساء بطريقة مباشرة والعديد منهن يشكرنني لأنني ألهمتهن ودعمتهن نفسيا».

لقد نجحت انتصار حرب في إحداث التغيير، إذ عملت على ترشيد سلوكيات المحيطين بها ودعم قدراتهم وتنسيق جهودهم وتوجيههم، فازارت بلقب «عقل الجماعة».



رغدة الزوايدة

من تأسيس الحركة الكشفية إلى ريادة التطوع في مادبا والأردن

رغدة بطرس الزوايدة رائدة الحركة الكشفية والرياضية، رحلت عن عالمنا سنة 2019. قائدة وطنية كان لها بصمة واضحة في الحركة الشبابية الأردنية والكشفية، وهي عضوة هيئة رواد الحركة الكشفية الأردنية والدولية.

تخصص رغدة في اللغة العربية كان بسبب عشقها لغتها الضاد، وقراءة الكتب وبراعتها في نظم الشعر، تلك الموهبة التي ورثتها عن عمها الشاعر الشهير ركس العزيزي، فكانت خليفته في الطلاقة ونظم الشعر والخطابة.

كان والدها أستاذا لا يتجاوز راتبه تسعة دنانير آنذاك، ويعيل 7 أبناء ورغدة هي الابنة الكبرى. ونظرا لمرض أمها، اختارت رغدة مساعدة عائلتها في التكاليف المعيشية وتربية إخوتها ورفضت الزواج. رعت والدتها فكانت تطعمها قبل أن تذهب إلى عملها، ثم تعود إليها في فترة الغداء لتناولها الطعام، وتعود إلى عملها مرة أخرى، وبقيت هكذا حتى توفيت والدتها.

التحقت بالتدريس في الشوبك فالعقبة، ثم سافرت إلى الجزائر لتعمل في تدريس اللغة العربية والدين الإسلامي رغم أنها مسيحية. ثم عادت إلى بلدها وتحديدا إلى مادبا (الواقعة على بعد حوالي 30 كيلومترا جنوب غرب عمان) لتصبح مشرفة تربوية منذ عام 1962.

كانت رغدة أول من أسس الحركة الكشفية، ليس في مادبا فقط بل في الأردن، وهي أول من أدخل جائزة الأمير الحسن إلى مادبا وأسست مركز الشابات لتتمكن الفتيات من الانخراط في العمل الكشفية. كانت أيضا حكمة دولية في رياضة الريشة الطائرة وتنس الطاولة، ثم أصبحت أمينة عامة للحركة الكشفية العربية، وكانت متطوعة في منظمة الهلال الأحمر الأردني. سافرت إلى أغلب دول العالم تقريبا.

أثرت معرفتها العلمية وحبها للقراءة والكتب في كل من عرفها، وكانت أيضا مطلعة على العشائر وأسمائها قديما وحديثا وكأنها عالمة أنثروبولوجيا أيضا.

رائدة العمل الكشفى بامتياز

صنعت رغبة المدربة الماهرة والقائدة الحكيمة والمواطنة المحبة لوطنها، أسلوب حياة رغم الظروف الاجتماعية والأحوال الاقتصادية السيئة، وفجرت الطاقة التي بداخل العديد من الأشخاص نساء ورجالا بل أكدت على قاعدة عامة أن السلوك تعبير عن قرار وليس عن ظروف وهذا كان سر ممارستها للحياة بإيجابية. وكان شعارها في الحياة كما تقول «العمر ليس عائقا للنشاط والعمل» ففي عمر الثمانين كانت تتسلق وادي رم وتذهب إلى البحر الميت مع الكشفية وتسبح معهم.

كانت لمن عرفوها قائدة ملهمة تمتلك الإحساس والرؤية القوية وإيمانها برسالتها في القيادة، كما تمكنت من غرس روح الاعتزاز والفخر لديهم ونالت حبهم واحترامهم. فقدرتها على التواصل والاتصال الفعال، كان له أثر إيجابي في أصدقائها المقربين وأفراد عائلتها. وكانت هذه المهارة بمثابة العمود الفقري لعملية التفاعل بين رغبة والناس من حولها، أفضت في النهاية إلى تكامل الأدوار فيما بينهم، وهذا التكامل يقوم على الفهم المتبادل والتنظيم وإصدار النصائح الهادفة.

كما كانت مساعدة الناس من أولوياتها وخاصة طلاب البحث العلمي، إذ أنها كانت تساعد سرا بعض الشباب في الحركة الكشفية في إتمام رسائل الماجستير. فلم تكن رغبة تسعد إلا بإسعاد غيرها. كانت حقا رائدة العمل التطوعي والشبابي ليس في مادبا فحسب، بل في الأردن كله. وتابعت هذا العمل النبيل طوال حياتها، ولكن شدة المرض حالت دون قدرتها على الاستمرار.

يقول شقيقها: «توفيت وعرفنا كم كانت محبوبة من كثرة الناس الذين حضروا جنازتها حتى أصدقاء لها من تونس وفلسطين حضروا للعزاء. ورأينا في جنازتها أيضا الكثيرين من ذوي الإعاقة لم نكن نعلم بمساعدة رغبة لهم في حياتها، هي تخفي الكثير من الأعمال الخيرية».

عشقت الأردن والأردنيين ومادبا تحديدا بقلبها ووجدانها، فأعطت الجميع من خبرتها ومعرفتها دون أن تنتظر مقابلا. ومثلت الأردن في المحافل الدولية الكشفية والرياضية والثقافية فكانت خير من حافظت على التراث الأردني، وأحبت العمل التطوعي الذي كان يجري في شرايينها.

يقول زميلها في الكشفية سلامة الطوال: «غيرت نظرنا إلى الرحلات المدرسية وحتى تقاليدنا، ففي الطريق لم تكن الرحلة فقط غناء وطعام، بل كان تتخللها مباريات شعرية وثقافية ومسابقات معلومات عامة. كل خطوة في طريقنا كانت بمثابة الدروس عن طبيعة المنطقة ونباتاتها وحجارتها ونوعية صخورها وكانت توضح لنا عند زيارة أضرحة بعض الصحابة أثرهم في الإسلام».

القائدة الانسانية

تميزت رغبة بقوة الشخصية، وشبكة من العلاقات المتينة، وهذا يظهر في أعياد الأردن الوطنية مثل الثورة العربية الكبرى أو عيد الاستقلال. كانت تنسق مع الجيش لتأمين حافلات الرحلة وتنسق أيضا بفضل علاقاتها مع وزارة الشباب. واللافت أنها تبجل الصغير قبل الكبير. وقد كانت تدخل الكشفية بواسطة تلك العلاقات، إلى قوارب الحماية العسكرية بعد إذن عسكري وإجراءات مشددة هي الوحيدة التي كانوا يسمحون لها بذلك، فلها طلاب عقدا وعمداء بالجيش.

كانت رغبة مديرة النشاطات كلها في الحركة الكشفية حتى أنها كانت تدفع من حسابها الخاص فقط لتنجح الرحلة، وعندما تأتي الوفود العربية كانت هي التي تستضيفهم مجسدة الكرم الأردني.

عملت رغبة الزوايدة أكثر من 65 سنة لم تترك وراءها نقودا بل تركت إرثا لا يقدر بثمن، تركت محبة الناس وحب الخير للجميع. كانت إنسانة قبل كل شيء، فلا تبدأ بالأكل إلا بعد أن يأكل الموجودون جميعا. وحين يمرض أحد في محيطها، تجدها تطمئن عليه وتزوره وتذكره بأدويته. ولم تنتظم مناسبة في مادبا من أعراس أو أتراح إلا وشاركت فيها.

كانت بفضل صفاتها والكاريزما التي امتلكتها، أنموذجا مؤثرا لكل من عمل معها أو عايشها وجعلتهم يرغبون في محاكاتها بدرجة كبيرة نساء ورجالا.



فضية جمعة
المعاينة

من الحلم بالوظيفة إلى إدارة جمعية نسائية

من منطقة حرمت فيها أغلب الفتيات من الدراسة، تنحدر فضية جمعة ذات الخمسين عاما رئيسة جمعية سيدات مأدبا. ففي قربتها «الفيحاء» (إحدى قرى مأدبا) كانت من بين الفتيات القليلات اللاتي تسنّى لهن استكمال تعليمهن، بفضل دعم والدها الذي وافق على مغادرتها القرية في سن مبكرة لمواصلة تعليمها الإعدادي والثانوي ثم الجامعي، لتحصل على البكالوريوس في إدارة الأعمال في مأدبا.

عادت فضية إلى مسقط رأسها، وكان حلمها الحصول على وظيفة حكومية، انشغلت منذ البداية بمشكلة التسرب المدرسي للفتيات، فحاولت توعية الآباء والأمهات بضرورة السماح لبناتهن بتجاوز التعليم الابتدائي واستكمال دراستهن، لكنها وجدت صدا كبيرا من الآباء. فالتجّحت إلى تعليم الأمهات القراءة والكتابة وحفظ القرآن لمدة ست سنوات، ثم اقترحت على إحدى صديقاتها بعث جمعية نسائية. رغبة فضية في بعث الجمعية نبعث من سبب رئيسي وهو النهوض بأوضاع النساء في منطقتها، لتري «جمعية سيدات مأدبا» النور في عام 2011.

تشكو فضية من بيئتها المجتمعية غير الداعمة إطلاقا للمرأة، إذ توكل إليها أدوارا ثانوية لا تتجاوز فضاء البيت، وترسخ حول النساء ومكانتهن وأوضاعهن تمثيلات وصوراً نمطية سلبية، ما يجعل المرأة كما تقول «مثقلة بالصور السلبية فتجد نفسها مضطرة إلى المواجهة لإثبات جدارتها في العمل والقيادة، وإلى مواجهة مفاهيم القيادة المتسلطة وأشكالها وأساليبها، استنادا إلى الثقافة الذكورية المهيمنة في محيطها».

هذه البيئة المغلقة والمتشددة تجاه حقوق النساء وأدوارهن ومكانتهن، لم تسمح كما تتحدث فضية، بوجود نساء قياديات وبارزات من الفيحاء على الصعيد المحلي، حيث ألقت هذه الذكورية المتجذرة بظلالها على

واقع مشاركة النساء في الشأن العام، فكن مغيبات تماما عن الفضاء العام وبقين حبيسات البيوت يقتصر دورهن على رعاية الزوج والأبناء.

تطمح فضيئة إلى النهوض بقريتها الفيحاء وتحسين مستوى عيش النساء فيها وتنمية أوضاعهن، فكانت جمعية سيدات مآدبا هي السبيل لتحقيق هذا الطموح. ومنذ عام 2011، تولت فضيئة مسؤولية رعاية الأيتام والفقراء ومرافقة النساء ودعمهن من أجل بعث مشاريع صغرى تكون مورد رزق لهن ولأسرهن، وتساعدن خاصة في تعليم أولادهن وبناتهن.

حصلت الجمعية على دعم مؤسسة نهر الأردن ووزارة التنمية، ونجحت في تنفيذ خمسة وأربعين مشروعا، سرعان ما ارتفعت إلى ثمانية وخمسين ثم إلى مائة مشروع حتى عام 2020، في مجالات الحصاد المائي عبر استغلال مياه الأمطار وتربية الأغنام والدواجن والزراعات الموسمية... وتتولى الجمعية كذلك تدريب النساء على الأشغال اليدوية كالخياطة وصنع الصابون وصناعة الحلبي بالخرز... فكانت جمعية محلية فاعلة في مجال ريادة المشاريع الصغرى للنساء، حظي نجاحها فيما تقوم به باهتمام الملكة رانيا العبد الله التي زارت الجمعية في عام 2015 وقدمت دعما ماديا من أجل تطوير المشاريع المنجزة وبعث مشاريع أخرى.

القيادة تشاركية أو لا تكون

تؤمن فضيئة بمبدأ التعاون والمشاركة، فهي تعطي الفرصة لزميلاتهن في الجمعية لتبادل الآراء من أجل اتخاذ القرارات المناسبة. وهي تدرك أن هذا الأسلوب يسمح لهن بتعزيز الثقة في النفس عبر المشاركة في الإدارة والتسيير، وهو يسمح كذلك

باتخاذ القرارات الأكثر ملاءمة لاحتياجات المستفيدات من نشاط الجمعية وتحقيق الأهداف المنتظرة.

تحرص فضيئة على خلق بيئة إيجابية للمحيطين بها والعاملين معها، فهي تعتمد إلى توجيه زميلاتهن نحو الهدف المطلوب من خلال تحديد مواطن القوة والضعف والتخطيط ووضع الأهداف، وتبادل المهارات والمعارف وبناء الثقة فيما بينهن. كما تحرص على أن تحيط نفسها بأشخاص داعمين وإيجابيين.

ورغم ذلك، تواجه الجمعية عددا من الصعوبات وأهمها كما تقول: «نواجه صعوبات مالية، فنحن نفتقر إلى مقر يكون على ملك الجمعية، وندفع إيجارا يستنزف ميزانيتنا. وأكثر ما يؤذيني هي المقولات المشوّشة، فنحن نتعامل بالنقود، وكنت أتهم أحيانا بسوء استخدامهما وأحيانا أخرى أتعرض إلى مشاكل مع الرجال وأتعامل معهم بصبر فأتقبل آراءهم وأمتص غضبهم وأحاول إقناعهم بوجهة نظري. فهم لا يحبذون خروج النساء للعمل ويخافون استغلالهن المادي».

تتلخص أهم نقاط قوة مسيرة فضيئة ونجاحها في قدرتها، في بيئة منغلقة ومحاطة على كسر الحواجز والمعوقات المجتمعية ومواجهة العادات والتقاليد الذكورية، وهيكلت نساء قرويات صلب جمعية تعمل على تعزيز التمكين الاقتصادي للنساء، ونشر ثقافة ريادة الأعمال والسعي نحو تغيير النظرة المجتمعية لتعليم الإناث. وهي عازمة على المضي قدما نحو تغيير التصورات المسبقة تجاه تمكين النساء، مرتكزة على ما حققته من تأثير وما عاينته من بوادر تغيير لصالح النساء في مجتمعها المحلي.



الشيخة أم مازن

حاملة شعلة التغيير

تذكر أم مازن كيف كانت البدايات صعبة حيث الموارد المالية شحيحة ومحدودة، لكن هذه المجتهدة الأمية تمكنت من حشد نساء أخريات وحثهن على المبادرة والفعل سوياً. وبتكاثف جهود ثمانية وعشرين امرأة تأسست الجمعية التعاونية المتخصصة في تصنيع كرات اللين المجفف «الجميد» والسمنه وبيعها وتسويقها.

بين الرفض والقبول رحلة كفاح

لم يرق المشروع لأهل القرية، عدد كبير كان معارضا لإنشاء الجمعية لسببين : الأول لأن فكرة بعث الجمعية تعتبر مسألة جديدة لم يعهدها أهل القرية، والثاني لأن أم مازن في نظر المحيطين بها هي امرأة متقدمة في السن في حاجة إلى الراحة لا إلى العمل.

كانت مبدئية ومحترمة لدى الجميع، فالأهل والجيران والمحيطون بها تعودوا استشارتها في الكثير من الأعمال والمشاريع. وهي بدورها لا تبخل على أحد بالمساعدة أو المشورة والنصح، متحلية بأخلاق عالية وبأسلوب جيد في المعاملة وبرصانة من خبر الحياة ومشاكلها.

حملت الشيخة أم مازن رغم عدم معرفتها القراءة والكتابة، «شعلة التغيير» في منطقتها، ولحسن حظها أنها لم تصطدم بمعارضة وصد شديدين من مجتمعها، إذ اختارت العمل في مجال عادة ما تقوم به النساء، وظلت محاطة ببيئة نسائية بعيدة عن حضور الرجال ومشاركتهم.

وقد أتاحت هذه البيئة لأم مازن أن تقود مجموعة النساء وأن تحقق أهدافها معتمدة الانسجام مع الفريق والتشجيع على الفعل والعمل. فوفقت أيما توفيق في التأثير على النساء وحققت التعاونية إشعاعاً خارج منطقتها عبر تسويق المنتوجات في الأردن وخارج الأردن أيضاً.

وتحرص على إتقانه ما جعلها تنجح في ما تقوم به. تفتح أبواب جمعيتها أمام الجميع دون استثناء ولا تتوانى عن مساعدة أحد، وهي شديدة الحرص على أن تسود علاقاتها الثقة والاحترام المتبادل.

وقد اكتسبت بفضل عملها الجاد وإخلاصها فيما تقوم به مصداقية لدى جميع من عرفها أو تعامل معها، فكانت ملهمة للآخرين. وفي ادارتها للمفريق تركز على الأهداف التي ترسمها معهم والتي تكون في مصلحة الجميع.



تجاوز تأثيرها في النساء حدود الجمعية، فقد نسجت العديديات على منوالها، وشجعت بعضهن على إنشاء جمعيات مماثلة. تقول موضحة: «كنت سعيدة لأجلهن، زرتهن في مقر عملهن وهنأتهن على النجاح الذي حققته. لم أشعر بالغيرة بل زادت علاقاتي الاجتماعية وكسبت محبة الناس بمساعدتي لهم».

عندما نتحدث أم مازن عن شخصية القائد تصفه قائلة: «القائد هو من يقود أي عمل وينجح في ذلك. فأنا أوثر في نساء منطقتي فيتبعن طريقي، حتى أنني أثرت في نساء من بئر السبع في فلسطين، تواصلت معهن وعلمتهن كيفية إعداد السمنة لبيعها حتى يكون لديهن مورد رزق يكفيهن الحاجة والسؤال». ثم تردف موضحة: «إقناع الناس بالعمل صعب في البداية، لكنني على يقين أن المثابرة والإصرار كفيلا بدفع النساء للعمل. تشجيعهن ومرافقتهن يحقق الهدف المنشود. هذا هو القائد الذي يصر على تغيير من هم حوله نحو الأحسن والأفضل».

يقول ابن أخت أم مازن: «الحاجة أم مازن امرأة قيادية بالأساس، فهي قائدة في منطقتها، ورثت صفات القيادة من خالها الشيخ هائل الذي كان عضوا في المجلس الاستشاري. وهي قائدة في بيتها أيضا، لكل أولادها مستوى جامعي، وقد علمتني شخصيا كيف أتعامل مع الآخرين وكيف أبني رأس مال اجتماعي غفل عنه الكثيرون وهو السمعة الحسنة، ما جعل صيتها يتجاوز مليح ليصل إلى مأدبا».

تعمل أم مازن في انسجام تام مع محيطها ومع النساء المستفيدات من نشاط التعاونية، فهي تهتم بعلاقاتها مع المحيطين بها وتلتزم بعملها

 https://twitter.com/CAWTAR_NGO

